الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف - المسيلة

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم: التـــــاريخ

الرقم: .....

رحلة العالم الألماني ج. أو. هابنسترايت مصدر هام عن الجزائر سنة 1732م

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر أكاديمي في التاريخ

تخصص: تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر

إعداد الطلبة:

تركية بوطي

منيرة بورزق

مقدمة أمام لجنة المناقشة		
اسم ولقب الأستاذ	المؤسسة الجامعية	الصفة
د.رواجعية أحمد	جامعة محمد بوضياف بالمسيلة	رئيسا
فاتح بلعمري	جامعة محمد بوضياف بالمسيلة	مشرفا ومقررا
د. بومولة نبيل	جامعة محمد بوضياف بالمسيلة	مناقشا

السنة الجامعية: 2016م-2017م

شكر وعرفان

اللهم لك الحمد حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه، ولك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك، ولك يا رب على ما أنعمت علينا من قوة وصبر في إنهاء هذا العمل.

ثم نتوجه بالشكر الجزيل إلى الأستاذ المشرف "بلعمري فاتح"، الذي سهل لنا الطريق، ولم يبخل علينا بنصائحه القيمة، فقد كان نعم المشرف،كما نتقدم أيضا بأسمى عبارات التقدير إلى المشرف على مكتبة المركز الثقافي مخالفية محمد والمشرف على مكتبة بلدية المعاضيد بن عمر إبراهيم اللذان مهدا لنا طريق العلم والمعرفة.

كما لا يفوتنا أن نتقدم بالشكر والامتنان إلى كل من الأخوين فؤاد شيحي ومعوش وليد اللذان تتبعا معنا خطوات هذا العمل من البداية.

إهداء

إلى من قاموا بدعمنا ماديا ومعنويا الوالدين

ونطلب من الله أن يمنحهما صحة

ويحقق آمالهما ويسعدهما في الدنيا والآخرة

ونسأل الله أن يوفقنا في هذا العمل ويحقق آمالنا في الحياة

منيرة - تركية

قائمة المختصرات:

1/العربية:

ج	جزء
د.ت	دون تاريخ
ط	طبعة
ص	صفحة
ص ص	صفحات
م	ميلادي
مج	مجلد
م.ق	قبل الميلاد

2 الفرنسية :

R. A	Revue Afrique

تناولت المؤلفات الغربية تاريخ المغرب العربـي فـي الفترة الحديثة، وهـي تشمل كتابات الرحالـة، القناصـل، الأطبـاء، العلمـاء والأسـرى ... والتـي يمكـن اعتبارهـا إحـدى المصـادر المعتمدة لتاريخنا، ويتضح جليا في فترة الحكم العثماني للجزائر (1518-1830) من خلال الكتابات والتآليف عن الجزائر في هذه المرحلة سواء كانت محلية أو أجنبية، إذ كان فيها للجزائر مكانة دولية جعلت منها محط أنظار العديد من الشخصيات، فتوافد عليها رحالة أجانب على مدى ثلاثة قرون، تركوا انطباعات وآراء وحقائق تاريخية عن البلاد في إحدى محطاتها التاريخيةإبان الفتر ة العثمانية فبذلك زاد الإقبال على الرحلة فتعددت الأهداف من ورائها.

ومن بين أهم الرحلات الأوروبية، الرحلات العلمية مثل رحلة العالم والطبيب الألماني هابنسترايت في بداية العشرية الثالثة من القرن 18م لإفريقيا الشمالية (الجزائر، تونس، طرابلس (1145هـ/1732م), إذ قام هذا الرحالة الألماني برحلة قدم خلالها ملاحظات دقيقة عن إيالة الجزائر ماضيها وحاضرها، والاطلاع على أوضاع سكانها السياسية، الاجتماعية والاقتصادية في عهد الدايات (1671-1830م)، وهو عهد تميز باستقلال الجزائر عن الدولة العثمانية، ولم تعد تربطها بمقر الخلافة العثمانية سوى علاقة التعاون والاحترام، كما عرفت هذه المرحلة تغيرات واضحة مست مختلف الجوانب، وهذا ما سنتطرق إليه في دراستنا هذه من خلال ما كتبه هذا العالم الألماني، فرغم أن مدة إقامته بالجزائر لم تدم طويلا إلا أن معلوماته عنها كانت غنية وثمينة.

دوافع اختيار نا للموضوع:

1-إن هذه الرحلة لم تحظ بدراسة شاملة ووافية من طرف الباحثين بالقدر الكافي، فأردنا تسليط الضوء عليها، والتعريف بها والإلمام بجميع جوانبها، وذلك لزيادة التعريف بها وبمحتوياتها.

2- إدراكنا لأهمية البحث، كونه موضوع مهم يمس العديد من جوانب الحياة في الجزائر خلال العهد العثماني.

3- محاولة التقرب من المصادر الأجنبية لمعرفة الحقائق التاريخية عن الجزائر, وعن واقعها المعاش مباشرة من معاصريها من الرحالة, الذين عاشوا فترة من تاريخ الجزائر خلال العهد العثماني.

4-محاولة اكتشاف وا ٍثبات ما مدى صدق الرحالة الألماني في المعلومات التي قدمها.

5-الرغبة في دراسة هذه الرحلة وا ٍزالة بعض الغموض عنها.

6- الاطلاع الوافي عن أوضاع الجزائر في تلك الفترة من خلال مصدر مهم (رحلة العالم الألماني ج. أو. هابنسترايت).

من خلال تصورنا للموضوع طرحنا إشكالية تهدف لمعالجة:

-من هو ج. أو. هابنسترايت؟ وما مدى صدق معارف أخباره عن الجزائر؟ وفيما تكمن أهمية رحلته؟.

ومن خلال الإشكالية العامة نطرح جملة من التساؤلات وهي:

- ماهية الرحلة؟

- ما هي أنواع الرحلة؟.

- ما هي أهم الرحلات الأجنبية التي كانت في الجزائر خلال العهد العثماني؟.

- من تكون هذه الشخصية والتي هي محل الدراسة؟

- ما هي مضامين رحلة هابنسترايت؟ وما هي أسبابها ودوافعها؟.

- هل يمكن اعتبار معلومات الرحالة وملاحظاته شخصية فقط, أم انه اعتمد على مصادر أخرى؟.

- ما هي الأهمية التي نستخلصها منها؟.

- فيما تمثلت القيمة التاريخية والجغرافية للجزائر من خلال صاحب الرحلة؟.

- كيف كانت نظرة هابنسترايت للواقع الاجتماعي والبنية الاقتصادية لإيالة الجزائر؟.

- ماهية الأهمية التي نستنبطها من حديث صاحب الرحلة عن الحياة السياسية والعسكرية للجزائر خلال العهد العثماني؟ وكيف كانت نظرته لجانبها المعماري؟.

ومن خلال هذه الدراسة سعينا للإجابة عن هذه التساؤلات حيث قمنا بتقسيم هذه الرسالة الموسومة بـ"رحلة العالم الألماني ج. أو هابنسترابيت مصدر هام عن الجزائر عام 1732م" إلى مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة.

عنونا الفصل الأول بـ"الرحلة المفهوم والأنواع"، تضمن ثلاثة مباحث، تناولنا في المبحث الأول تعريف الرحلة لغة واصطلاحا، وعالج المبحث الثاني" أنواع الرحلات"، أما المبحث الثالث فتحدثنا فيه عن نماذج من الرحلات إلى الجزائر في العهد العثماني. أما الفصل الثاني فجاء عنوانه بـ"نبذة عن الرحالة هابنسترايت وعن رحلته"، اندرج تحته ثلاث مباحث، تطرقنا في مبحثه الأول إلى أضواء عن حياة الرحالة، ثم يليه المبحث الثاني الذي خصصناه للتعريف بالرحلة، وتحدثنا في المبحث الثالث عن المصادر التي اعتمد عليها الرحالة جوهان أرنست هابنسترايت. أما الفصل الثالث فكان عنوانه "أهمية رحلة هابنسترايت في إبراز معالم الجزائر العثمانية"، واحتوى هذا الفصل على أربعة مباحث، تطرقنا في المبحث الأول إلى الأهمية في الجانب التاريخي والجغرافي، وتناولنا في المبحث الثاني الأهمية في الجانب الاجتماعي و الاقتصادي ، وتطرقنا في المبحث الثالث إلى الأهمية في الجانب السياسي والعسكري، أما المبحث الرابع بينا فيه الأهمية في الجانب المعماري. وأنهينا الدراسة بخاتمة كانت حوصلة لأهم النتائج التي توصلنا إليها.

أمـا بالنسـبة للمـنهج المتبـع فـي الدراسـة، فـإن طبيعـة الموضـوع اقتضـت أن يكـون المنهج تاريخي وصفي وتحليلي ، إضافة إلى المنهج المقارن، حيث استعنا بالأول في إبراز المعالم الحضارية للجزائر العثمانية من خلال تقديم هابنسترايت وصف كامل لها، وفيما يخص المنهج التحليلي استعملناه من خلال تحليل الوقائع وشرحها بنزاهة وموضوعية، أما المنهج المقارن استخدمناه في مقارنة الأخبار على الآخرين، فقد قارنا بين كتابات المؤرخين وبين ما ذكره هابنسترايت عن تاريخ مدن الجزائر وسياسة العثمانيين بها.

ولإنجـاز هـذا البحـث اعتمـدنا علـى مـادة علميـة متأصـلة فـي جملـة مـن المصـادر والمراجع من أهمها:

1-ج. أو. هابنسترايت في كتابه "رحلة العالم الألماني هابنسترايت إلى الجزائر وتونس وطرابلس (1145هـ-1732م)"، وهو يعد مصدرا أساسيا لموضوعنا هذا، فقد قام بترجمته للعربية وتقديمه والتعليق عليه ناصر الدين سعيدوني، أفادنا في الكثير من المعلومات منها: التعريف بصاحب الرحلة وبمضمون رحلته.

2- وليام شالر في كتابه "قنصل أمريكا في الجزائر 1816-1824م"، وكان من تعريب وتعليق وتقديم إسماعيل العربي، رغم أن مدة إقامة شالر بالجزائر كانت في نهاية العهد العثماني، إلا أن كتابته عنها كانت قيمة، فأخذنا عنه بعض المعطيات التي خدمت موضوعنا.

إضافة إلى المصادر الأجنبية:

1)Laugier de Tassy, Histoire du royaume d’Alger.

قدم دوتاسي معلومات هامة عن الجزائر وهو مصدر يمس موضوعنا، فاعتمدنا عليه في إثبات صحة بعض الحقائق التي وردت على لسان هابنسترايت، كالتي تتعلق بالجانب العسكري, وقضية فدية الأسرى.

2) Thomas Shaw, Voyage dans la Régence d'Alger

يعد الدكتور شاو (Dr,Shaw) طبيب قام بزيارة الجزائر في فترة تواجد العالم الألماني بها، وهذا الأخير ذكره في رحلته وقال عنه أنه كان من بين مرافقيه، ومن هذا توجب علينا الرجوع إلى رحلته.

أما عن المراجع المستخدمة نذكر منها:

1-جون ب. وولف في كتابه "الجزائر وأوربا 1500-1830"، يحتوي هذا الكتاب على وصف دقيق لبعض الحقائق التاريخية للجزائر العثمانية استخدمناه في ذكر عادات وتقاليد الجزائريين، والتعريف ببعض الرحلات التي كانت بالجزائر خلال العهد العثماني.

2- "علي عبد القادر حليمي" في كتابه "مدينة الجزائر نشأتها وتطورها قبل 1830"، وهو أيضا مرجع مهم أبرزنا من خلاله معطيات تاريخية عن مدينة الجزائر ونباتاتها وحيواناتها.

3- "ناصر الدين سعيدوني" في كتابه "النظام المالي للجزائر في الفترة العثمانية 1800-1830"، لقد وجدنا في هذا الكتاب معلومات خدمت موضوعها، فاستعملناه في فئات المجتمع الجزائري، واقتصاد الجزائر في الفترة العثمانية.

4- "زكرياء العابد" في مذكرته "الجزائر في العهد العثماني من خلال رحلات أوروبية" وهي مذكرة ماجستير، احتوت هذه الدراسة على رحلات أوروبية للجزائر في العهد العثماني، وموضوعنا تخدمه هذه الدراسة، فأخذنا عنه التعريف ببعض الرحالة الأوروبيون الذين جاؤوا إلى الجزائر في العهد العثماني وبعض المعلومات التي تخص الرحالة الألماني هابنسترايت وغير ذلك من المراجع والدراسات.

وتصادف أي باحث مجموعة من الصعوبات والعراقيل من أجل إنجاز بحثه، ومن بين الصعوبات التي واجهتنا هي:

-عدم إيجاد دراسات متخصصة في الموضوع وقلة المصادر المعالجة له (رحلة العالم الألماني هابنسترايت).

- صعوبة ترجمة الكتب الأجنبية المتخصصة، خاصة الألمانية منها كون صاحب الرحلة ألماني.

- ضيق وقصر مدة إنجاز البحوث (ثلاثة أشهر) لا تكفي للبحث الدقيق.

- تحديد الدراسات بعدد صفحات معين قد يعيق عملية البحث.

-صعوبة التنقل إلى مراكز البحث والمكتبات البعيدة.

المبحث الأول: تعريف الرحلة.

1-**لغة:** في بداية الحديث عن تعريف الرحلة لابد من التطرق إلى أصدق وأوثق مصادرنا الإسلامية وهو القرآن الكريم، فقد ورد لفظ رحلة فيه إلا مرة واحدة، في سورة قريش، قال الله تعالى في الآية: (لإِيلَافِ قُرَيْشٍ إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ).[1]

تنوعت المفردات الدالة على نشاط الترحال في القرآن الكريم وكان منها: الإسراء، الظغن، السفر، الهجرة، السّير،[2] فمثلا وردت لفظة "أسرى" في كل من سورتي الأنفال والإسراء، قال الله تعالى: (مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ)،[3] وقوله تعالى: (سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ).[4]

أما الرحلة في اللغة فهي الترحيل والارتحال, بمعنى الإشخاص والإزعاج، يقال رحل الرجل إذا سار، وهي من يرحل رحلا، ورحيلا، وترحالاً ، ورحله من بلده أخرجه منها، ورجل رحول.[5]

جاءت الرحلة أيضا بمعنى الجهة التي يقصدها الإنسان "الرحلة، والارتحال والرُحلة بالضم الوجه الذي تأخذ فيه وتريده: تقول أنتم رحلتي أي الذين ارتحل إليهم"، كما تطلق الرحلة أيضا على السفرة الواحدة.[6]

---

[1]- القرآن الكريم، سورة قريش، الآية: 1-4.

[2] سميرة أنساعد،الرحلة إلى المشرق في الأدب الجزائري دراسة في النشأة والتطور والبنية،دار الهدى، الجزائر،2009،ص 17.

[3]- القرآن الكريم، سورة الأنفال، الآية: 67.

[4]- القرآن الكريم، سورة الإسراء، الآية: 01.

[5]- ابن منظور، لسان العرب، مج3، تحقيق: عبد الله علي الكبير وآخرون، دار المعارف، القاهرة، د ت، ص 1609.

[6]- الفيروز أبادي، القاموس المحيط، ج3، دار الجيل، بيروت ، د ت، ص 394.

نجد أن الرحلة جاءت بمعنى السير، والانتقال، والوجهة، أو المقصد الذي يراد السفر إليه، وبمعنى دنو المكان المراد الوصول إليه، أو الاقتراب وقت الر حيل، ولهذه المعاني كلها كان لفظ رحلة يطلق على الانتقال من مكان لآخر، ومنه أخذ لفظ رحّ ال وهو: الشخص المنتقل من مكان لآخر.[1]

وفي محيط المحيط: "رحل البلد يرحَ ل رحْ لاً ورحيلاً ويَر ْحالاً شخص وسار. ورحلته أنا لازم متعدّ ، ورحل إلى المكان انتقل، راحلهُ عاونه على رِحْلَتِه ِ وترَحَّل القوم عن المكان انتقلوا ... والرحلة النوع من الرحيل، يقال رحل فلان رحلة من لا يعود.[2]

كما جاء في مقاييس اللغة لابن فارس في مادة "رحل": "رَحَلَ ، الر اء والحاء واللام في أصل واحد، يدل على مضي السفر؛ يقال: رحل يرحل رحلة، وجمل ورحيلٌ: ر ُحلة بضم الراء وكسرها إذا كان قويا على الرحلة. والرحلة: الارتحال. والراحلة المركب من الإبل ذكرا كان أو أنثى ورحَّله إذا أضعنه من مكانه. ومعنى الر ِحلة والر ُحلة: القوة على السير".[3]

وهكذا يتجلى بوضوح أن اشتقاقات مادة "رحل"، مرتبطة أساسا بالحركة والوسيلة، من خلال التمظهر البارز لفعل الركوب، الذي يفرض بالضرورة راكبا ومركبا تمثل وسيلة حركة وانتقال، إذ لا قيمة لراكب ولا مركب بدون حركة.

2- اصطلاحا:

إن الرحلة في جوهرها حركة، والحركة ترتبط بالمسار الذي لا يعتبر اعتباطيا ولا يعد اختياره من قبل التقليد والعادة والإتباع، وتكون الرحلة في المفهوم العام لحساب أي هدف أو غاية، برية أو بحرية، وفي إطار هذا التنوع في الوسيلة تظل الرحلة إنجازا أو فعلا أو مباشرة

---

[1]- عواطف محمد يوسف نواب، الرحلات المغربية والأندلسية مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في القرنين السابع والثامن الهجريين -دراسة تحليلية مقارنة-، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 1996، ص 29.

[2]- بطرس البستاني، محيط المحيط، مكتبة لبنان، بيروت، 1977، ص ص 367-368.

[3]- ابن فارس، مقاييس اللغة، ج2، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، د ت، ص ص 497-498.

لما يعنيه أو يقتضيه أمر اختراق حاجز المسافة، أو إسقاط الفاصل الحاجز بين المكان الذي تبدأ منه، والمكان الذي تنتهي إليه.[1]

إن الرحلة ذات منطلقات نفسية، تتعلق بالأنا، وغيرية تتعلق بالآخر، غير أننا نلمس من خلال عرض أقوال بعض الأعلام، الإشارة إلى الفوائد التي يجنيها الإنسان من وراء الرحلة،[2] مثلما نجده في قول أبي الحسن المسعودي: "ليس من لزم جهة وطنه وقنع بما نمى إليه من الأخبار عن إقليمه، كمن قسم عمره على قطع الأقطار ووزع أيامه بين تقاذف الأسفار، واستخراج كل دقيق من معدنه، وا ٍثارة كل نفيس من مكمنه".[3]

الرحلة وسيلة هامة لاكتشاف العالم والإنسان، وتوسيع خبرات الرحالة ومعارفه، وفي هذا المضمون يقول حسن محمد حسين عن الفيلسوف الإنجليزي فرانسيس بيكون[4]: "إن السفر تعليم للصغير وخبرة للكبير".[5]

الرحلة مسؤولية مباشرة، يكون القيام بها والخروج إليها على سبيل الهواية أو الاحتراف، خروجا بكامل الإرادة والاختيار يبتغي الهدف وبلوغ الغاية، بل ويكون تنفيذ المهام

---

[1]- صلاح الدين علي الشامي، الرحلة عين جغرافية المبصرة في الكشف الجغرافي والدراسة الميدانية، ط2، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1999، ص 10.

[2]- سميرة أنساعد، المرجع السابق، ص 21.

[3]- أبو الحسن علي المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج1، تحقيق: سعيد محمد اللخام، دار الفكر للطباعة والنشر والتوز يع، بيروت، 2000، ص 20.

[4]- فرانسيس بيكون: ولد بيكون في 22 جانفي سنة 1560 من أبوين ينتميان لأسرتين عريقتين، فقد كان أبوه السير نقولا حامل الخاتم الأكبر في عهد الملكة إليزابيت، وجهه أبوه للعمل في خدمة الدولة، فأدخله جامعة كامبردج في الثانية عشرة من عمره، ثم ما لبث أن رحل إلى فرنسا ملحقا للسفير البريطاني لدى البلاط الفرنسي، حيث أمضى قرابة ثلاث سنوات ينتقل بين المدن الفرنسية، يتابع فيها الأحداث السياسية، أقبل على دراسة القانون وانتخب عضو بمجلس النواب، أنظر: جيب الشاروني، فلسفة فرانسيس بيكون، ط1، دار الثقافة، المغرب، 1981، ص ص 5-7.

[5]- حسين محمد فهيم، أدب الرحلات، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1989، ص 15.

المنوطة بالرحلة تطوعا يقبل به المغامرون وعشاق الرحلة، أو تكليفا يقبل به المكلفون ومحترفو الرحلة.[1]

ولقد أشار ابن زاكور الفاسي[2] في رحلته "نشر أزاهر البستان فيمن أجازني بالجزائر وتطوان من فضلاء أكابر الأعيان" بقيمة الرحلة إن قال: "فإن الرحلة منة من الله ونحلة، تكسب غليظ الطباع غاية الرقة والانطباع، وتعقب من كابد لها نصبا، علما غزيرا وأدبا".[3]

والرحلة هي انتقال واحد أو جماعة؛ عائلة، قبيلة أو أمة من مكان إلى آخر لمقاصد مختلفة وأسباب متعددة، فإن كان انتقال قبيلة أو أمة من بلاد إلى أخرى لسبب كجدب بلادهم وضيقها دونهم، أو لاضطهاد وقع عليهم أو على إثر حروب أتلفت أرزاقهم وأسباب معيشتهم ونحو ذلك من الأسباب، سميت رحلتهم مهاجرة.[4]

من كل ما سبق، نستخلص أن السفر والرحلة الجوهر فيهما هو الحركة والانتقال، وهذا هو المعنى المتكرر في ثنايا المعاجم والمؤلفات العربية، وهذا المعنى في الواقع، لا يعنينا إلا بالقدر الذي احتجناه للتوضيح، لأن هذه الرحلات، لا تعد ولا تحصى، باعتبارها تدل على كل فعل فيه حركة وانتقال صادر عن أي شخص.

---

[1]- صلاح الدين علي الشامي، المرجع السابق، ص ص 11-12.

[2]- ابن زاكور الفاسي: هو محمد بن قاسم بن محمد بن عبد الواحد بن أحمد، أبو عبد الله بن زاكور الفاسي، كنيته أبو عبيد الله، عرف بابن زاكور الفاسي نسبة لمدينة فاس، ومن مؤلفاته: الدرة المكنوزة في تذييل الأرجوزة، أنظر: ابن زاكور الفاسي، نشر أزاهر البستان في من أجازني بالجزائر وتطوان من فضلاء أكابر الأعيان، المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، الجزائر، د ت، ص ص 13، 23-24.

[3]- نفسه، ص 40.

[4]- بطرس البستاني، دار المعارف، مج8، مؤسسة مطبوعاتي، إسماعيليان، طهران، د ت، ص 564.

المبحث الثاني: أنواع الرحلات.

عندما زاد الإقبال على الرحلة تعددت الأغراض واختلفت الأنواع والتي غالبا ما يقوم أصحابها بنشرها في شكل مذكرات تتضمن مشاهداتهم وانطباعاتهم واستنتاجاتهم، حتى لا تقتصر فوائدها عليهم فقط، بل تتعداهم إلى القراء الذين يتوارثونها جيلا بعد جيل، ولهذا ظهرت عدة تصنيفات للرحلات التي تباينت من مؤلف لآخر وهي:

1-الرحلة العلمية:

المقصود بالرحلة العلمية، الرحلة في طلب العلم، تلك الرحلة التي يعزم صاحبها فيغادر موطنه الأصلي، لينطلق إلى مكان مقصود لطلب العلم، ولقاء العلماء، والجلوس إلى الشيوخ للاستماع إلى دروسهم في الحلقات،[1] والرحلة العلمية إن نضحت بوصف البلدان والمجتمعات فإنها تفننت في الحديث عن الحياة الفكرية والنشاط الثقافي وما هذا بالجانب الذي يستهان به.[2]

وقد أشار العلامة ابن خلدون إلى أهمية الرحلة في طلب العلم حيث قال: "فالرحلة لابد منها في طلب العلم، واكتساب الفوائد والكمال بلقاء المشايخ "الأساتذة"".[3]

لقد حث الدين الإسلامي على هذا النوع من الرحلات، ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾.[4]

---

[1]- أبو الفضل بديع الزمان الهمداني، مقامات، تعليق: محمد محي الدين، المكتبة الأزهرية، القاهرة، 1923، ص 301.

[2]- مولاي بالحميسي، الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص 10.

[3]- ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار الجيل، بيروت، د ت، ص 598.

[4]- القرآن الكريم، سورة التوبة، الآية: 122.

2- الرحلة الاستطلاعية:

وقد يخطر لمحب التجوال والمغامرة أن يرتحل لمدة، كثيرا ما تستغرق شهورا أو سنوات، يدون أثناءها ما يعجبه أو يلفت انتباهه أو يخالف ما تعوده، وفي هذا الصنف من الرحالين نذكر الحسن بن محمد الوزان الفاسي[1]، والذي شرع في رحلته للمشرق حوالي 1515-1516 إلى أن قبض عليه قراصنة صقلية.[2]

3- الرحلة الحجازية:

هي رحلة دينية، يقصدها الرحالة بدافع أداء فريضة الحج والعمرة،[3] لقوله تعالى:

و (أَذِّن فالي النَّاس ج يَأْتُوك كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِين مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ).[4]

و وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ).[5]

4- الرحلة السفارية:

ظهر هذا النوع في القرن السادس عشر، فكان السلاطين السعديون وبعدهم العلويون يعينون بعض المقربين لهم للقيام بمهمة في البلدان الأجنبية أو الإسلامية لدى ملوكها.[6] بدافع سياسي، تكون بطلب من الحاكم للقيام بهذه الرحلة.[7]

---

[1]- مولاي بالحميسي، المرجع السابق، ص 11.

[2]- الحسن بن محمد الوزان الفاسي: شخصية عربية إسلامية فذة، ينتسب إلى قبائل بني زيات الزناتية، ولد بمدينة غرناطة قبيل سقوطها بيد الإسبانيين، من أهم مؤلفاته: كتاب وصف إفريقيا. أنظر: الحسن بن محمد الوزان الفاسي المعروف بليون الإفريقي، وصف إفريقيا، ج1، ط2، ترجمة: محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983، ص ص 5-7.

[3]- سميرة أنساعد، المرجع السابق، ص 27.

[4]- القرآن الكريم، سورة الحج، الآية: 22-27.

[5]- القرآن الكريم، سورة البقرة، الآية: 196.

[6]- مولاي بالحميسي، المرجع السابق، ص 11.

[7]- سميرة أنساعد، المرجع السابق، ص 30.

5- الرحلة التجارية:

للتجارة أمر يقتضي الرحلة والسفر، وكان التجار يرتحلون إلى أراض جديدة عن طريق القوافل وعن طريق البحر، ومن التجار الرحالة الذين كانت رحلاتهم أساس للتجارة ياقوت الحموي[1] الذي اكتسب كتابه "معجم البلدان" شهرة كبيرة.[2]

6- الرحلة الخيالية:

ذكر الدكتور شوقي ضيف أن الإنسان ولد راحلا، فإن أعجزته الرحلة، تخيل رحلات غير محسوسة في عالم الخيال، ونجد ذلك مثبوتا في الأساطير الأولى،[3] وذكر الدكتور حسني محمود حسين أن الإنسان توسع برحلاته على مدى الدهور، ولم يعد يقصرها على سطح الكرة الأرضية, فراح يتشوق لرحلات أعجزته قدرته على تحققها بالفعل، فلجأ إلى خياله وفكره يجوس بهما في عوالم عديدة.[4]

بالإضافة إلى رحلات أخرى التي ذكرها حسين نصار وهي:

1-السياحية: وهي التي غاية وضعها السياحة مطلقا.

2- الرسمية: وهي التي يرافق الرحالة فيها الملوك ورجال الدولة في أسفار رسمية،[5] مما يجعلها ذات أهداف ودوافع سياسية بحتة، وعادة ما يشبهها الدارسون بالغزوة أو المسيرة العسكرية، يقوم بها الحاكم ضد الخارجين عن القانون أو المتمردين عن السلطة المركزية،

---

[1]- ياقوت الحموي: هو الشيخ الإمام شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي، ولا يعلم شيء عن تاريخ مولده، وكل ما يعرف عنه أنه أخذ وهو صغير أسيرا من بلاد الروم، وحمل إلى بغداد مع غيره من الأسرى فبيع هناك، فاشتراه تاجر اسمه عسكر الحموي، فنسب إليه وقيل له ياقوت الحموي. أنظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج1، دار صادر، بيروت، 1977، ص 02.

[2]- سيد حامد النساج، مشوار كتب الرحلة (قديما وحديثا)، مكتبة غريب، القاهرة، د ت، ص ص 11-12.

[3]- شوقي ضيف، الرحلات، ط4، دار المعارف، القاهرة، د ت، ص 07.

[4]- حسني محمود حسين، أدب الرحلة عند العرب، ط2، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1983، ص5.

[5]- حسين نصار، أدب الرحلة، ط1، دار نوبار للطباعة، القاهرة، 1999، ص 18.

فهي كغيرها من عموم الرحلات العربية قائمة على السفر والارتحال،[1] مثل رحلة محمد الكبير[2] إلى الجنوب الصحراوي.

3- الدراسية:و هي التي يتغرب فيها الرحالة في طلب العلم، ولقاء المشايخ الكبار، وارتياد المكاتب الشهيرة، مثل رحلة ابن زاكور الفاسي.

4- الأثرية: وهي التي تكون الغاية منها البحث عن الآثار ووصفها.

5- الزيارية: وهي التي يقصدها صاحبها في سفره لأجل زيارة أضرحة الأنبياء والأولياء ومشاهدهم.[3] مثل رحلة المكناسي[4] "إحراز المعلى والرقيب في حج بيت الله الحرام وزيارة القدس الشريف والخليل والتبرك بقبر الحبيب".

6- السياسية: وهي التي ترجع أسبابها إلى قضايا سياسية بين بلدين.[5] مثل رحلة توماس هيز[6] سنة1695 إلى مدينة الجزائر.

7- المقامية: وهي التي نظمها كاتبها في قالب المقامات.

---

[1]- أحمد يوغلا، الرحلة الأندلسية الأنواع والخصائص، ط1، دار أبي رقاق للطباعة والنشر، المغرب، 2008، ص205.

[2]- محمد الكبير: هو محمد بن عثمان كردي، الملقب عادة بالكبير، ينتمي إلى أسرة كردية، أمه جارية اسمها زائدة، كان لمحمد الكبير مواقف مشرفة وقدرة عالية في القيادة وسياسة الناس، إضافة إلى علم لم ينكره عليه أحد، قام برحلة داخل البلاد، قادته إلى الجنوب الصحراوي الجزائري بغرض إخضاع هذه المنطقة إلى السلطة المركزية. أنظر: أبو القاسم سعد الله: أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج1، ط4، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2005، ص 280.

[3]- حسين نصار، المرجع السابق، ص 18.

[4]- المكناسي: عربي مسلم غير خاضع للحكم التركي وهو من كبار رجال الدولة، الذي ساهم بفعاليته في صنع أحداث النصف الثاني من القرن الثامن عشر، خلف ثلاث مؤلفات تعتبر مصادر ثمينة التي قادته إلى كل من اسبانيا ومالطا ومملكة الصقليتين والإمبراطورية العثمانية. أنظر: محمد بن عبد الوهاب المكناسي، رحلة المكناسي، إحراز المعلى والرقيب في حج بيت الله الحرام وزيارة القدس الشريف والخليل والتبرك بقبر الحبيب، ط1، تحقيق وتقديم: محمد بوكبوط، دار السويدي للنشر والتوزيع، بيروت، 2003، ص ص 11، 14.

[5]- حسين نصار، المرجع السابق، ص 18.

[6]- توماس هيز (Thomas Hees): ولد بويسب Weesp قريبا من أمستردام عام 1634، حصل على دكتوراه في الطب من جامعة آنجرز Angers، أقام بالجزائر من أكتوبر 1675 إلى ماي 1695، مكلفا من حكومة بلاده للتفاوض حول معاهدة سلم وصداقة مع الجزائر. أنظر: زكرياء العابد، الجزائر في العهد العثماني من خلال رحلات أوروبية، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الأمير عبد القادر، 2007، ص 27.

8- الدليلية: وهي التي يصف كتابها البلاد التي دخلوها دون أن يذكروا أحوالهم الخاصة وتاريخ ورودهم وصدورهم ولا شيئا مما حدث لهم.

9- الفهرسية: وهي التي يختصر مؤلفها على ذكر الشيوخ الذين قرأ عليهم، والكتب التي درسها معهم.

10- العامة: وهي التي تجمع كثيرا من الأغراض السابقة،[1] مثل رحلة الزياني "الترجمانة الكبرى".[2]

المبحث الثالث: نماذج من الرحلات إلى الجزائر في العهد العثماني.

1-رحلات خلال القرن السادس عشر:

مارمول كربجال: وصف عام لإفريقيا.

Marmol Karvajal : Description générale de l'Afrique

أ-تعريف المؤلف:

هو رحالة ومؤرخ إسباني، ولد في غرناطة وعاش خلال القرن السادس عشر،[3] سار في جيش الأمبراطور شارلكان،[4] الذي غزا تونس سنة 1535، وحضر احتلال هذه المدينة وما جرى فيها من أعمال السلب والنهب، وبعد مغادرة الأسطول الإمبراطوري لتونس، بقي

---

[1]- حسين نصار، المرجع السابق، ص 18.

[2]- الزياني: هو أبو القاسم بن أحمد بن علي الزياني، رحالة وأديب ووزير مغربي، ولد بفاس سنة 1734، وتعلم بها على أساتذة أجلاء إلى سنة 1759، وسمى رحلته بالترجمانة الكبرى التي جمعت أخبار العالم برا وبحرا وما تخللها من الأمصار، والمدن، والقرى. أنظر: مولاي بالحميسي، المرجع السابق، ص ص 20، 22.

[3]- إسماعيل العربي، "بجاية من خلال النصوص الغربية"، مجلة الأصالة، العدد 19، الجزائر، 1974، ص 74.

[4]- الإمبراطور شرلكان: 1500-1558، ابن الملكة خوانا وفليب الأول، وبعد أن استقر على العرش واجه الكثير من الثورات. أنظر: قرباش بلقاسم، الأسرى الأوربيون في الجزائر خلال عهد الدايات (1671-1830)، مذكرة لنيل درجة الدكتوراه، تخصص التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة مصطفى اسطنبولي، معسكر، 2015-2016، ص 18.

مارمول في شمال إفريقيا يقوم بمهمة كلفه بها شرلكان، وطالت إقامته في هذه البلاد نحو اثنتي وعشرين سنة.[1]

ب- تقديم الكتاب:

قام بتأليف كتابه وصف عام لإفريقيا" باللغة الإسبانية واعتمد فيه على ملاحظات الحسن الوزان، وقد صدر في غرناطة سنة 1573، وقام بترجمته إلى العربية محمد حجي وآخرون.[2] وهو في ثلاثة أجزاء، وتوجد منه ترجمة فرنسية غير أمينة قام بها نيقولا سمسون N. Samson بباريس سنة 1667.[3] والمعلومات التي قدمها المؤلف في هذا الكتاب تشمل جميع مناطق إفريقيا الشمالية، بما في ذلك الصحراء الكبرى وأثيوبيا ومصر، كما يحتوي على معظم المعارك التي وقعت في تلك المناطق.[4]

2- رحلات خلال القرن السابع عشر:

الأب بيار دان: تاريخ البربر وقراصنة المملكة.

Pierre Dan : Histoire de la barbarie et des ses corsaires des royaumes.

أ-تعريف المؤلف:

الأب بيار دان مؤرخ فرنسي حائز على شهادة الباكالوريا بكلية باريس، كاهن ورئيس دير الثالوث المقدّس، الذي أسّس في قصر فونتابولو في القرن الثاني عشر للميلاد، ومستشار وراع للملك الذي يوجد الدير بقصره.[5]

---

[1]- مارمول كربجال، إفريقيا، ج1، ترجمة: محمد حجي وآخرون، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، المغرب، 1984، ص4.

[2]- إسماعيل العربي، المرجع السابق، ص 74.

[3]- جون ب. وولف، الجزائر وأوربا 1500-1830، ترجمة وتعليق: أبو القاسم سعد الله، عالم المعرفة، الجزائر، 2009، ص 463.

[4]- إسماعيل العربي، المرجع السابق، ص 75.

[5] -Pierre Dan, Histoire de la barbarie et des ses corsaires des royaumes, et des villes d'Alger, de Tunis, de Salé et de Tripoli, Libraire ordinaire du roi, a Paris, 2ème édition, 1646, p4.

ب- تقديم الكتاب:

كتابه مؤلف من ستة أبواب، تناول فيه بلاد المغرب ككل، الباب الأول كان عن الكلمات البربرية والبربر، الباب الثاني عالج(قضية الجهاد البحري) بالجزائر، تونس، وطرابلس، الباب الثالث تناول فيه السباق نحو (الجهاد البحري) والوسائل المستعملة، الباب الرابع مميزات المرتدين، الباب الخامس يصف الأحزان والمآسي التي كان يعانيها الأسرى من قبل الأتراك، الباب السادس يتكلم عن الثالثوث المقدس،و الأسرى الذين تم افتداؤهم.[1]

3- رحلات خلال القرن الثامن عشر:

1-لوجي دوتاسي: تاريخ مملكة الجزائر.

Laugier de Tassy : Histoire du royaume d'Alger.

أ-تعريف المؤلف:

مسؤول في القنصلية الفرنسية بالجزائر،[2] خلال القرن الثامن عشر، وعلى الرغم من أن مدة إقامته لم تطل في مدينة الجزائر، إلا أنّه قدّم لنا معلومات في غاية الأهمية عن أوضاع الجزائر السياسية والاجتماعية خلال القرن الثامن عشر،[3] وكان مبعوث بحري للملك الإسباني في هولندا.[4]

ب- تقديم الكتاب: يتألف الكتاب من عشرة فصول،[5] بدأ دو تاسي الحديث في رحلته عن إيالة الجزائر في شمال إفريقيا، ووضع حدود مملكة الجزائر، فتناول المؤلف جغرافية

---

[1] -Pierre Dan, op.cit, p 1-2.

[2]-Laugier de Tassy, Histoire de royaume d'Alger, Amsterdam, Henri de Sauzet, M.DCC.XXV,p 1.

[3]- محمة عائشة، الأسرى الأوروبيون في مدينة الجزائر ودورهم في العلاقات بين الجزائر ودول الحوض الغربي للمتوسط خلال القرنين السادس والسابع عشر للميلاد، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، تخصص التاريخ الحديث، معهد العلوم الإنسانية والاجتماعية، المركز الجامعي بغرداية، 2011-2012، ص 06.

[4]- جون ب. وولف، المرجع السابق، ص 462.

[5] -Laugier de Tassy ,op.cit.

الجزائر[1]، وتضاريسها، سواحلها،[2] مرتفعاتها وقدم كذلك الكاتب وصفا للمقاطعات الإدارية التي كانت في الجزائر.[3]

2- توماس شاو: رحلة إلى بلاد الجزائر:

Thomas Shaw : Voyage dans la régence d'Alger.

أ-تعريف المؤلف:

ولد توماس سنة 1692، بكين دال وتحصل على شهادة الباكالوريا سنة 1716، ثم على شهادة للفنون سنة 1719[4]، وهو من أصول إنجليزية كان كاهنا بالوكالة الإنجليزية بالجزائر بين سنتي 1720 إلى 1732، وخلال رحلته هذه, سجل العديد من الملاحظات عن تاريخ الجزائر،[5] ويعتبر عمله ذا قيمة علمية كبيرة, وأحد أفضل المؤلفات الجغرافية حول شمال إفريقيا، وبعد عودته لإنجلترا أصبح دكتورا في اللاهوت سنة 1734، وفي نفس السنة أختير كعضو في الجمعية الملكية بلندن.[6]

ب- تقديم الكتاب:

تناول الدكتور في رحلته الحديث عن الريف الجزائري والحياة البسيطة التي كان يعيشها سكان الريف، وكيف أنهم كانوا يعتمدون على أعمال جد بسيطة من أجل كسب قوت يومهم كالزراعة التقليدية التي كانت للاستهلاك فقط، وكذلك تطرق إلى أهم المزروعات والمنتوجات التي كانت تنتجها الجزائر، وركز الدكتور شو على أهم العلوم التي كانت منتشرة

---

[1] -Laugier de Tassy, op.cit, pp 7-21.

[2]- Ibid, pp 23-36.

[3] -Ibid, pp 300-329.

[4]-Thomas Shaw, Voyage dans la régence d'Alger, ou description géographie, physique, philologique, traduit par J. Maccarthy, chez Marlin, éditeur, Paris, 1830, p5.

[5]- عميراوي أحميدة، الجزائر في أدبيات الرحلة والأسر خلال العهد العثماني (مذكرات تيدنا أنموذجا)، دار الهدى، الجزائر، 2009، ص 12.

[6] -Thomas Shaw,op.cit.

ومدروسة في تلك الفترة،[1] وتطرق أيضا إلى الحياة السياسية والإدارية وركز في كتابه أيضا على الضرائب، وقام برسم خريطة الجزائر وضع عليها معالم وحدود إيالة الجزائر، خاصة حدود بايلك الشرق الجزائري (قسنطينة).[2]

فونتير دو بارادي: الجزائر خلال القرن الثامن عشر.

Venture de Paradis : Alger au XVIII^{ème} siècle.

أ-تعريف المؤلف:

ولد جون ميشال فونتير دو بارادي في 08 ماي سنة 1739 بمرسيليا من أم يونانية، وأب كان يعمل كترجمان في العديد من قنصليات فرنسا بالمشرق، ولم يكد يبلغ الثالثة عشرة من عمره حتى استفاد من منحة دراسية إلى باريس لتعلم التركية والعربية، إضافة إلى اللاتينية بمعهد اللغات الشرقية.[3]

أرسل دوبارادي (De paradis) إلى الجزائر سنة 1789، حيث مكث سنتين فأفاد من أوقات فراغه من متابعة بحوثه حول اللغة البربرية التي أثمرت تأليفه لكتاب في قواعدها ومفرداتها، نشر بعد ذلك بخمسين سنة.[4]

يعتبر دوبارادي (De paradis) أحد أكبر مستشرقي القرن الثامن عشر، نادى بضرورة تشجيع دراسة اللغات الشرقية في فرنسا، وقد ساعدت ملاحظاته القيمة حول السكان وحكامهم، والحضر والبدو،التجارة والعملات، الجيوش والديبلوماسية.[5]

---

[1] - Thomas Shaw, op.cit, pp 21-39.

[2] - Ibid, pp 149-182.

[3] - Venture de Paradis, Tunis et Alger au XVIII^{eme} siècle, Sindbad, Paris, 1983,pp 9-10.

[4] -ودان بو غفالة، أوقاف مليانة والمدية في العهد العثماني دراسة في النشاط الاقتصادي والبنية الاجتماعية والحياة الثقافية، أطروحة دكتوراه، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، 2006-2007، ص 50.

[5] -زكريا العابد، المرجع السابق، ص112.

ب- تقديم الكتاب:

كتاب دو بارادي (De paradis) هو خمس مجلدات وضعت في المكتبة الوطنية، وهي جزء من المجلد الأول الذي يتألف من الملاحظات التي أدلى بها هذا العالم، وتحمل عنوان "ملاحظات على الجزائر".[1]

وبالمقابل فإن أعمال دو بارادي (De paradis) بالنسبة لتاريخ الجزائر العثمانية هي ذات قيمة عالية، وقد نشرت في المجلة الإفريقية.[2]

تضمنت معلومات قيمة عن هذا البلد[3] حيث تحدث عن الجزائر في القرن الثامن عشر، موقعها، أحياؤها، تجارتها، ثكناتها، ديوانها، وعلاقاتها.[4]

[1] -Venture de Paradis, Alger au XVIII siècle, édité par E. Fagnan, Alger typographie adolphe jourdan4, place de gouvernement, 4, 1898, p03.

[2] -Venture de Paradis, Alger au 18ème siècle, présentation de fagan (E), in .R.A, N°39, Année 1895, p265.

[3] - عميراوي أحميدة، المرجع السابق، ص 11.

[4] -Venture de Paradis, Alger au XVIII siècle, op.cit, p4, 14, 30, 85, 120.

المبحث الأول: أضواء عن حياة الرحالة.

جوهان أرنست هابنسترايت (Johann Ernst Habenstreit) ولد يوم 15 جانفي سنة 1702 في نوشتادار أون أورلا (Neustadtan der Orla) وتوفي يوم 05 ديسمبر سنة 1757 في لايبزيغ (Leipzig)،[1] درس الطب في شبابه بجامعة بينا (Iena) واستقر بها، وتحصل على عمل بفضل توصية من عالم النبات ريفيناس (Rivinas)، وأوكلت له مهمة العناية بالنباتات النادرة، وهذا ما سمح له بمواصلة دراسته والحصول على مؤهل يسمح له بمزاولة مهنة الطب،[2] تحصل علىالباكالوريا و الماجستير في الفلسفة سنة 1728، تحصل على الدكتوراه في الطب سنة 1729،[3] وفي يوم 30 جوان 1731 كان في الأكاديمية الألمانية للعلوم في نيوبوندنيا (Académie allernande des scienes Leopolina).[4]

عين من طرف أغسطس الثاني[5] على رأس فرقة بحث إلى بلدان شمال إفريقيا (الجزائر، تونس وطرابلس)، بغرض جمع الحيوانات والنباتات النادرة لفائدة الأمير المذكور، الذي كان في نفس الوقت يتولى عرش مملكة بولونيا،[6]وكانت هذه الفرقة مكونة من سبعة

---

[1] -Johann Ferdinand Neigebaur, Geschichte der kaiserlichen Leopold carolinishen deutschen Akademie der Naturrforscher während der zweiten Jahrbunderts ihres Bestehens, Jena, 1860, s212.

[2]- ج. أو. هابنسترايت، رحلة العالم الألماني هابنسترايت إلى الجزائر وتونس وطرابلس (1145هـ/1732م)، ترجمة وتقديم وتعليق: ناصر الدين سعيدوني، دار الغرب الإسلامي، تونس، د ت، ص 13.

[3] -http://de.wikipedia.org/wiki/johann-Ernst-henbenstreit.

[4] -Johann Ferdinand Neigebaur, Ibid, s212.

[5] -أغسطس الثاني: ولد بدرسدن (Dersde) عاصمة سكسونيا (Saxe) سنة 1670، أمير سكسونيا وملك بولونيا (1697-1733)، اعتنق الكاثوليكية حتى يصير ملكا على بولونيا، خلع عن العرش سنة 1704 من قبل شارل الثاني عشر، لكنه أعيد بعد تدخل الجند الروس، توفي بفرصوفيا (Versovei) سنة 1733، أنظر: زكريا العابد، المرجع السابق، ص 54.

[6]- منير الفندري، "هابنسترايت وبعثة أمير سكسونيا العلمية بشمال إفريقيا (1732-1733)"، المجلة التاريخية المغاربية، العدد 35-36، تونس، 1984، ص 231.

أفراد من بينهم النباتي كريستيان قو تليب لودفيج[1] (Cristian Gotthieb ludwig).[2]

أبحرت الفرقة من مارسيليا إلى الجزائر، فوصلت في يوم 16 فيفري سنة 1732، واهتم فيها أساسا بتقاليد السكان وأوضاعهم وبسلوك عبدي باشا داي الجزائر، ونظام الجيش والظروف التي تميزت بها محاولة الإسبان استرجاع مدينة وهران والمرسى الكبير بعد أن طردوا منها 1708م.[3]

معارف هابنسترايت الطبية ساعدته على النجاح في مهمته، ومكنته من اكتساب صداقة الداي عبدي باشا[4] وابنه آغا العرب[5]،[6] واتخذه الداي طبيبا خاصا، على الرغم من قصر المدة التي قضاها في مدينة الجزائر فقد كانت بضعة أشهر.[7]

---

[1]- كريستيان قو تليب لودفيج: طبيب ألماني ولد يوم 7 ماي سنة 1709 وتوفي يوم 30 أفريل 1773، درس الطب وعلم النبات في جامعة لايبزيغ، ذهب في رحلة استكشافية تحت قيادة أرنست هابنسترايت إلى شمال إفريقيا، حصل على الدكتوراه سنة 1746 وصار أستاذا في الطب سنة 1747، في علم الأمراض سنة 1755، والعلاج سنة 1758. أنظر: http://en.m.wikipedia.org/wiki/christian.gottlieb.ludwig.

[2]- منير الفندري، المرجع السابق، ص 231.

[3]- ج. أو. هابنسترايت، المصدر السابق، ص 16.

[4]- عبدي باشا: انتخب الداي عبدي في التاسع والعشرين من ربيع الثاني سنة 1136هـ-1724م، وهو ذا شخصية عسكرية قوية، وذا طباع جيدة وروح رقيقة، ولكنه مع الأسف كان مدمنا على الأفيون، ونتيجة لهذا الإدمان كان يصاب بنوبات جنون مدهشة، فقد كان رجلا طاعنا في السن وأعور، وكان يشك في كل شخص. أنظر: عزيز سامح الّتر، الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية، ترجمة: محمود علي عامر، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، ط1، بيروت، 1989، ص 473. وجون ب. وولف، المرجع السابق، ص 433.

[5]- آغا العرب: هو قائد فرق الجند بمدينة الجزائر والمتصرف في فرسان المخزن بإقليمها (دار السلطان)، يكلف من طرف الداي بالمحافظة على الأمن وقمع حركات التمرد وضمان المواصلات واستخلاص الجباية، وهذا ما وسع من صلاحيات هذا القائد العسكري وجعله يحتل المرتبة الثانية في سلك الموظفين المساعدين للداي، بل جعله الحاكم الحقيقي لأوطان دار السلطان بسهل متيجة. أنظر: ج. أو. هابنسترايت، المصدر السابق، ص 23.

[6]- لزغم فوزية، "الأطباء الأوروبيون بالجزائر خلال العهد العثماني"، مجلة عصور، جامعة وهران، عدد21، جويلية – ديسمبر 2013، ص 239.

[7]-بوحجرة عثمان، الطب والمجتمع في الجزائر خلال العهد العثماني (1519-1830م) مقاربة اجتماعية، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية،جامعة وهران، 2014-2015، ص 36.

وقد أغدق عليه الداي عبدي باشا (1724-1732)أمو الا طائلة، تقدر بثلاث أكياس من النقود من صنف القروش، مقابل خدماته له ولابنه آغا العرب،[1] وقد أكد هابنسترايت ظاهرة احترام سكان الجزائر للأطباء.[2]

في أول جوان من سنة 1732، توجه مع فرقة الجند (المحلة) [3] بقيادة الآغا إلى الأقاليم الداخلية وعبر مدن مليانة، المدية، سور الغزلان وبرج حمزة، وفي 31 أوت من سنة 1732، انتقل هابنسترايت من مدينة الجزائر إلى عنابة ثم قسنطينة.[4]

بعد الإقامة في قسنطينة، تحولت البعثة في منتصف أوت من سنة 1732 إلى البلاد التونسية، حيث استقبلها حسين بن علي باي، وقد امتنع هذا الأخير في بادئ الأمر أن يخول للألمان التجول عبر الأيالة، بدعوى أنه يخشى عليهم الأذى نتيجة العدوان الإسباني المسيحي على السواحل الجزائرية الإسلامية، ولا سيما وأن البعثة تعرضت عدة مرات إلى التعنيف من طرف الأهالي، وربما خشي حسين بن علي كذلك في البداية أن يكون هؤلاء الأجانب قد أتوا من الجزائر، حيث كان يقيم ابن أخيه الثائر علي باشا ببعض النوايا العدوانية.[5]

إن الظروف الصعبة التي كانت تعيشها الجزائر لترقبها الهجوم الإسباني على سواحلها، جعل من البعثة العلمية تتجه نحو تونس من أجل إكمال مهامها العلمية، إلا أنهم واجهوا بعض الصعوبات أثناء دخولهم لتونس في بداية الأمر.

---

[1]- بوحجرة عثمان، المرجع السابق، ص 36.

[2]- لزغم فوزية، المرجع السابق، ص 245.

[3]- المحلة: كانت المحلات تشكل في القرن السادس عشر طبقا لمبادئ الإقطاع الحربي، فكان بايات السناجق يتحصلون من الباشا على فرقة عسكرية يصل عدد أفرادها إلى 600 انكشاري، يقومون بغزوات في دواخل البلاد وفي المناطق غير الخاضعة للضريبة، ومنها كانوا يتحصلون على أموال طائلة يؤدون منها مبالغ معينة التزموا بدفعها للباشا لقادة المحلة. أنظر: Fray diego de Haédo , Topographie et Histioire générale d'Alger, Traduit de L'espagnol Monnereau, A.Berbrugger valladolid,1612,pp 61-63:par

[4]- ج. أو. هابنسترايت، المصدر السابق، ص 16.

[5]- منير الفندري، المرجع السابق، ص 231.

اهتم هابنسترايت في رحلته بالتعرف على الآثار الرومانية القديمة،[1] ورأى رئيس البعثة أن يغتنم فترة تردد باي تونس للتنقل عن طريق البحر إلى طرابلس لمواصلة أبحاثه، فقام بذلك صحبة بعض مرافقيه، تاركا البقية ومنهم عالم النبات الألماني المشهور كريستيان غو تليب لودفيج في تونس في ضيافة قنصل فرنسا.

وأقام هابنسترايت بالأراضي الطرابلسية من 26 سبتمبر إلى 19 ديسمبر 1732 حظي بمودة حاكمها أحمد باشا قرمانالي، الذي وفر له وسائل التجول إلى جبل غريان، ثم إلى آثار البلدة، ولم يترك أحمد قرمانالي المسافرين الألمان يغادرون البلاد إلا بعد أن أنجز الرسام شوبرت صورة زيتية تمثله، ثم عاد هابنسترايت إلى تونس ومعه حصيلة من الحيوانات والنبات والمعلومات المختلفة الأهمية، وبهذه الحصيلة غادر هابنسترايت ورفاقه تونس في منتصف أفريل من سنة 1733، عائدين إلى موطنهم.[2]

المبحث الثاني: التعريف بالرحلة.

نتناول في هذه الدراسة رحلة العالم الألماني جوهان أرنست هابتسرايت إلى الجزائر في القرن الثامن عشر، والتي قامت بها بعثة علمية يترأسها الرحالة الألماني بأمر من أمير مقاطعة سكسونيا الألمانية.

كانت زيارته للجزائر في شكل ثلاث رسائل، الرسالة الأولى أدرج فيها وصوله للجزائر سنة 1732، حيث قام بمقابلة الداي عبدي باشا، وا ٍعلامه بالمهمة التي جاء من أجلها، وهي القيام بأبحاث علمية يجمع فيها النباتات والحيوانات النادرة، فأجابه الداي بأن بلاده مفتوحة لهم في رحلتهم، وأنهم يستطيعون الاعتماد على حمايته.[3]

[1]- ج. أو. هابنسترايت، المصدر السابق، ص 16.

[2]- منير الفندري، المرجع السابق، ص ص 231-232.

[3]- ج. أو. هابنسترايت، المصدر السابق، ص 21.

كما قام الرحالة بتقديم وصف للأدوية، وخاصة للآغا، فقام هذا الأخير بتقديم هدية في شكل لبؤة وقنفذين صغيرين، وأعطى أوامر بأن يبحث له عن النعام وحيوانات نادرة، وهذا ما جعله يحقق الهدف الرئيسي من رحلته فيما يتعلق بالبحث عن الحيوانات.[1]

وقد قام هابنسترايت بتصحيح معلومات كربجال, دابير و تاسي فيما يخص ما كتبوه عن مملكة الجزائر، فالمدينة عرفت بالماضي باسم موريطانيا القيصرية كان يحكمها الملك يوبا الثاني،[2] كما تحدث عن الجزائر أنها في القرن 5م أخضعها جنسريق (Genseric)[3] على غرار إسبانيا لسيطرة الوندال[4].[5]

وقد طرد القائد البيزنطي بليزير (Belisaire)[6] منها الوندال سنة 533م، وظلت تحت سيادة بيزنطة حتى فتحها العرب سنة 633م ... ثم استولى[7] عليها الأتراك.[8]

---

[1]- ج. أو. هابنسترايت، المصدر السابق، ص 23.

[2]- يوبا الثاني: هو ابن يوبا الأول ولد سنة 50 ق. م، ولما توفي والده سنة 46 ق.م كان ذو أربع سنين، فأخذه يوليوس قيصر وتبناه، فتلقى الفنون والعلوم بمعاهد روما. أنظر: صالح بن النبيلي فركوس، تاريخ الثقافة الجزائرية من العهد الفينيقي إلى غاية الاستقلال (814 ق. م-1962م)، ج1، إيدكوم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013، ص 33.

[3]- جنسريق: تولى زعامة الوندال سنة 428م، كان قصير القامة وأعرجا بسبب سقوطه من جواده، كان قوي الإرادة، حاصر مدينة عنابة واتخذها عاصمة له واستولى على قرطاجة سنة 439م. أنظر: عثمان سعدي، الجزائر في التاريخ، شركة دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2013، ص ص 154-156.

[4]- الوندال: استولى الوندال على الجزائر في مطلع القرن الخامس ميلادي وظلوا بها من 429 إلى 533م، وخلال هذا القرن خرب الوندال البلاد ودمروا شرشال وعنابة . أنظر: علي عبد القادر حليمي، مدينة الجزائر نشأتها وتطورها قبل 1830، ط1، المطبعة العربية لدار الفكر الإسلامي، 1972، ص 186.

[5]- ج. أو. هابنسترايت، المصدر السابق، ص 27.

[6]- بليزير: قائد محنك اكتسب تجارب واسعة في حربه مع الجيوش الفارسية، قائد الحملة البيزنطية على الوندال في 533/06/22م. أنظر: عثمان سعدي، المرجع السابق، ص ص 162-163.

[7]-ذكر صاحب الرحلة لفظ "استولى"، ونحن نقول أن الأتراك لم يفرض وجودهم بالقوة على المدينة، بل دخلوها بعد استنجاد أهلها بهم في فترة كانت تعاني منها سواحلها من التحرشات الاسبانية، وكانت الدولة العثمانية آنذاك تحمل راية الجهاد.

[8]- ج. أو. هابنسترايت، المصدر السابق، ص 27.

وعن كيفية تعيين الدايات، يذكر: "الباب العالي يرسل إلى الجزائر باشوات يمثلون السلطان حتى سنة 1710، وعندما رفض الديوان[1] الممثل للحامية استقبال الباشا ممثل السلطان، أصبح الداي أو رئيس الحامية منذ ذلك اليوم صاحب السيادة في حكم الجزائر... وهذا ما جعل دايات الجزائر يحتفلون بتولية السلاطين العثمانيين باستانبول ويستقبلون في الجزائر بين الحين والآخر القابيجي باشي (Capigi-Bachi)[2]".[3]

وأشار صاحب الرحلة إلى أن أتراك الجزائر يمتهنون الجندية، ويشكلون جيش قال عنه: "هذا الجيش المعروف بالحامية يقسم كل سنة إلى ثلاثة أقسام تستخدم في مختلف الأوقات لإرغام القبائل البربرية والعربية على دفع الضريبة، ومن الجند من يشتغل بالقرصنة[4] في البحر".[5]

[1]- الديوان: هو الذي ينتخب الداي ويتداول في الأمور التي يرى الداي عرضها عليها، وتختلف أهمية الديوان باختلاف شخصية الداي وبراعته، ويضم المجلس الخاص والآغوات المعزولين والضباط السامين والرياس والمفتي المالكي والمفتي الحنفي. أنظر: وليام شالر، قنصل أمريكا في الجزائر (1816-1824)، تعريب وتعليق وتقديم: إسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، ص 42.

[2]- القابيجي باشي: رئيس البوابين في القصر السلطاني، وكان يعد منصبا قيما من مناصب القصر الهميوني. أنظر: سهيل صابان، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، مراجعة: عبد الرزاق محمد، حسن بركات، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 2000، ص 170.

[3]- ج. أو. هابنسترايت، المصدر السابق، ص 28.

[4]- القرصنة: وهي الجهاد البحري وامتداد للحروب الصليبية، وذلك نظرا لأسبابها الدينية ودوافعها العاطفية، ومع هذا فإنها بعيدة كل البعد عن ما يلصقه بها بعض الأوروبيين من أنها لصوصية واعتداء وتعدي على القوانين الدولية. أنظر: ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي للجزائر في الفترة العثمانية 1800-1830، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979، ص 66.

[5]- ج. أو. هابنسترايت، المصدر السابق، ص 33.

كما صرح هابنسترايت أن مدينة الجزائر من المدن المهمة في إفريقيا وأنها واجهت في كل الأوقات جيوش أقوى الدول،[1] وأنها مبنية على منحدر جبلي، وهذا ما جعل أزقتها متدرجة يعلو بعضها البعض.[2]

أما عن تسيير شؤون البلاد يشير هابنسترايت إلى: "قصر الملك، أي الداي، يستعمل في نفس الوقت كقصر للعدالة ...، وبعد محكمة الداي تأتي محكمة القاضي، والتي تشكل في الواقع محكمة أولية ومنها يمكن رفع شكوى إلى محكمة الداي ...، أمر تنفيذ الإعدام يتولاه الشواش[3] ...، يعود التصرف في شؤون سكان الريف إلى آغا الصبائحية[4]".[5]

عرج صاحب الرحلة على عادات وتقاليد سكان الجزائر التي قال عنها أنها تحددها ضوابط الشريعة الإسلامية، وأن الكل يتمتع في الجزائر بحرية المعتقد وما شد انتباهه هو غياب النساء عن الحياة العامة، فهن لا يسرن في الأزقة دون حجاب.[6]

ونلاحظ هنا أن الرحالة كان على دراية بكل ما يجري في الجزائر فكان يدّون كل ما يراه من عادات وتقاليد، وسلوك الجزائريين، حتى أنه تطرق حتى إلى الغطاء النباتي لضواحي المدينة وأراضيها.

---

[1]- أقوى الجيوش وأهمها: اسبانيا، وتليها البرتغال، فبعد أن تمكن الإسبان من إسقاط آخر قلعة للمسلمين في الأندلس، وأدت هذه المتابعة إلى استقرار الحاميات الإسبانية في عدد من المراكز الإستراتيجية. أنظر: أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998، ص 142.

[2]- ج. أو. هابنسترايت، المصدر السابق، ص 36.

[3]- الشواش: جمع مفردة شاوش (جاوش وتلفظ تشاوش)نواب، حاجب، رقيب في الجيش، كان يشرف على حماية وا إدارة القصبة ثلاثة شواش كبار). أنظر: مصطفى أحمد بن حموش، فقه العمران الإسلامي من خلال الأرشيف العثماني الجزائري (956هـ-1549م/1246هـ-1830م)دار البحوث للدراسات الإسلامية وا إحياء التراث، دبي، 2001، ص 274. وعلي خلاصي، قصبة مدينة الجزائر، ج1، ط1، دار الحضارة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2007، ص 59.

[4]- آغا الصبائحية: الذي يمكث دائما في مدينة الجزائر ويساعده في مهامه كاهيته الذي ينتقيه من بين شواش الديوان الثلاث ذوي الجبة الخضراء الناعمة بعد أدائه لعشر سنوات خدمة، وهو تركي الأصل على الدوام. أنظر:
Venture de paradis,Alger au XV Op.cit, P P 56 , 58.

[5]- ج. أو. هابنسترايت، المصدر السابق، ص ص 38-39.

[6]- نفسه، ص 48.

أما الرسالة الثانية التي كانت بتاريخ أول جوان 1732، خصصت إلى زيارات المدن والخروج مع جنود المحلة، وبعد سماح الداي لهابنسترايت بمصاحبة المحلة وتزويده برسائل إلى الحكام من أجل حمايته.

ومن بين المدن والمناطق التي زارها هابنسترايت حسب ما أورده: "وفي 23 أفريل قطعنا سهل متيجة[1] الجميل"، وكانت وجهته التالية البليدة،[2] حيث لاحظ الرحالة أن حمل باقة من النباتات في اليد هو بمثابة جواز مرور معروف ووسيلة لضمان السلامة.[3]

ومن بين جولاته مع جنود المحلة يذكر: "وفي 30 أبريل وصلنا إلى مليانة،[4] وقد استقبل فيها الآغا بالمراسيم الشرفية المعهودة, ولم نعثر فيها على شواهد تدل على تاريخها القديم سوى نقش موجود بحصنها..".[5]

وفي 4 ماي قصد صاحب الرحلة ورفاقه منطقة أخرى حسب ما قاله: "في 4 ماي وصلنا إلى موطن قبيلة وامري، ولم نرى هناك شيء يلفت الانتباه".[6]

---

[1]- سهل متيجة: كلمة عربية أصلها متوجة لأن الجبال تتوجها وتحيط بها من أغلب الجهات وهي عبارة عن سطح مستو ومنبسط حوضي، ومنخفض طولي محصور في كل جهاته الغربية، ومفتوح نحو البحر في جهاته الشرقية، يبلغ طوله من وادي الناظور في الغرب إلى وادي بودواو في الشرق نحو المائة كيلومتر وعرضه يختلف في الأطراف الغربية والشرقية عنه في الوسط. أنظر: علي عبد القادر حلمي، المرجع السابق، ص 15.

[2]- البليدة: وهي تقع في جنوب العاصمة على الطرف الشمالي لسهول متيجة على مسافة 24ميل من مدينة الجزائر, وسكانها يشبهون بعض الشيء سكان متيجة إلا أنهم أكثر حضارة. أنظر: وليام شالر, المصدر السابق, ص36.وللمزيد أنظر: حمدان بن عثمان خوجة، المرآة، ط2، تقديم وتعريب وتحقيق: محمد العربي الزبيري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، ص 53.

[3]- ج. أو. هابنسترايت، المصدر السابق، ص ص 54، 56.

[4]- مليانة:تبعد حوالي مائة كلم عن مدينة الجزائر, وتقع في سفح جبل زكار الغني بالمناجم, ولقد كانت في العهد العثماني تابعة لبايلك الغرب. أنظر: حمدان بن عثمان خوجة، المصدر السابق، ص58.

[5]- ج. أو. هابنسترايت، المصدر السابق، ص ص 61-62.

[6]- نفسه، ص 64.

عبر الر ّ حالة عدة مناطق حتى وصل إلى المدية،[1] ووقف على العديد من الآثار أثناء زياراته لتلك المنطقة، ونلمس ذلك في قوله: "وجدنا الكثير من القبور الرومانية عليها نقوش لاتينية".[2]

وفي 31 أوت سنة 1732 كانت رسالته الثالثة لملك سكسونيا، تكلم هابنسترايت فيها عن استعدادات حكومة الجزائر لصد هجوم اسبانيا، وفي ظل الظروف الغامضة توجب على الرحالة وبعثته العلمية مغادرة مدينة الجزائر مودعا الداي.[3]

ونجد أن هابنسترايت قد قام بشكر الداي على ما قدمه له من حماية ورعاية، وطلب الإذن منه لمواصلة سفره للبحث عن الحيوانات النادرة وا ٍكمال مهمته العلمية.

توجه هابنسترايت إلى مدينة عنابة،[4] كما تحدث عن زيارته لمدينة قسنطينة حيث قال: "لا يمكن أن نكون فكرة دقيقة عن مدينة قسنطينة وماضيها المجيد بالاعتماد فقط على النقش المهشم".[5]

ومما سبق نجد أن الرحالة الألماني لم يوقف أبحاثه العلمية بل قام بمواصلة مشواره العلمي مع رفاقه متجها نحو تونس ثم طرابلس الغرب لتحقيق ما جاء من أجله.

---

[1]- المدية: مدينة كبيرة عتيقة بناها سكان البلد الأصليون في سهل خصيب على حدود جيتوليا على بعد خمسين فرسخا من مدينة الجزائر. أنظر: مارمول كربجال, المصدر السابق, ص373.

[2]- ج. أو: هابنسترايت، المصدر السابق، ص 65.

[3]- نفسه، ص 76.

[4]- عنابة: تقع في سفح جبل إيدوغ بمثابة جوهرة بيضاء خرجت من البحر، يسكنها حوالي اثني عشر ألفا، وكان بها ثلاث موانئ. أنظر: هاينريش فون مالتسان، ثلاث سنوات في شمال غربي إفريقيا، ج1، ترجمة: أبو العيد دودو، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979، ص 267.

[5]- ج. أو: هابنسترايت، المصدر السابق، ص 80.

المبحث الثالث: المصادر التي اعتمد عليها الرحالة جوهان أرنست هابنسترايت.

1-الاعتماد على كتب الرحلات السابقة:

زار الجزائر خلال العهد العثماني العديد من الر حالة الأوربيين الذين كلفوا بمهام علمية، ومن بينهم الطبيب وعالم النبات الألماني هابنسترايت الذي دخل الجزائر سنة 1732، وقد سبقه رحالة في القرن 16 و17م، استند إليهم في التعريف بالجزائر.

ومن خلال قراءتنا للرحلة تبين لنا أنها مهمة من حيث المادة العلمية التي قدمها الرحالة الألماني، فقد اتصف بالموضوعية،[1] وقدمت وصفا دقيقا لأوضاع الجزائر، أما بالنسبة للمعلومات التي لم يستطع الاطلاع عليها بنفسه، فقد قام باقتباس من الرحالة الذين سبقوه، وتبين لنا ذلك من خلال ترجمتنا بعض مقتطفات من كتب الرحالة، ومن بينهم:

أ-لوجي دوتاسي (Laugier de Tassy):

فقد اقتبس الرحالة من كتاب دو تاسي وذلك من خلال قوله: "مداخيل الداي ذات قيمة معتبرة فقد قدرها لوجي دوتاسي مائتي ألف قرش أو فلورين في السنة، الجزء الأكبر منها يودع في الخزينة الموجودة في مكان أمين".[2]

أما الاقتباس غير المباشر نجد أن دوتاسي تكلم عن البلاد أنها احتلت من طرف الرومان سنة 46 ق. م، ثم الوندال سنة 427م، وطردوا منها سنة 533م،[3] وهذا ما أكده هابنسترايت.

---

[1]- وهذا ما أكد عليه ناصر الدين سعيدوني الذي وصفها بكونها أقرب ما تكون إلى الاعتدال والموضوعية والنظرة المتزنة بالمقارنة مع باقي الكتابات المعاصرة لها.

[2]- ج. أو. هابنسترايت، المصدر السابق، ص ص 41-42.

[3] -Laugier de Tassy, op.cit, p p 5-6.

ب- هايدو (Héado):[1]

صرح هابنسترايت أن مدينة الجزائر عاصمة المملكة التي تحمل اسمها والتي عرفت في الماضي باسم موريطانيا القيصرية،[2] وهذا ما نجده في كتاب هايدو "كانت تسمى موريطانيا القيصرية، وهي الجزائر العاصمة".[3]

2- الزملاء والأشخاص المرافقين له:

أوفد هابنسترايت إلى شمال إفريقيا على رأس بعثة مهمتها الرئيسية تتمثل في جلب حيوانات، طيور، أعشاب، أزهار، نباتات، وصخور. ومن بين الأشخاص المرافقين لهابنسترايت والذين أشار إليهم في رحلته شولتز (Schulze)وا إبرياخ (Eberbach) والبستاني ترو (Trau) كما رافقه في رحلته في مقاطعة التيطري الكاهن والطبيب الإنجليزي الدكتور شو (Dr. Shaw)،[4] إضافة إلى عالم النبات الألماني المشهور كريستيان قو تليب لودفيج.[5]

وعليه تظهر لنا بعض المساعدات التي قدمها زملاءه له من خلال تدوينهم الملاحظات التي غابت عنه عند خروجه مع جنود المحلة.

3- الأشخاص الذين قابلهم أثناء رحلته بالجزائر:

أ-القنصل الإنجليزي بلاك (Black):

عندما وصل هابنسترايت إلى الجزائر كان تحت حماية القنصل الإنجليز ي بلاك هو ورفاقه، فكانوا ضيوفا في بيته وقدم لهابنسترايت المساعدة فتوسط له لدى الداي لتسهيل العمل عليه.

---

[1]- هايدو: هو راهب بن دكتيي وكان أسيرا بالجزائر في الفترة 1578-1581، ولقد كان ملاحظا وسائلا دقيقا وذكيا وحساسا، ويعتبر عمله أساسي لكل الكتابات الغربية اللاحقة عن الجزائر. أنظر: جون. ب. وولف، المرجع السابق، ص463.

[2]- ج. أو. هابنسترايت، المصدر السابق، ص 24.

[3] -Haédo, op.cit,p 8.

[4]- ج. أو. هابنسترايت، المصدر السابق، ص 24.

[5]- منير الفندري، المرجع السابق، ص 231.

ب- الداي عبدي باشا:

كان نجاح صاحب الرحلة في مهمته بفضل المساعدة التي تلقاها من قبل عبدي باشا، ومن بين هذه المساعدات التي قدمها لها، السماح بمرافقة المحلة وتقديم توصيات للحكام لتقديم كل ما يحتاجه وحمايته إلى غاية انتهاء أبحاثه العلمية.

ومما سبق ذكره نستنتج أن معارف هابنسترايت الطبية جعلت منه محل تقدير عند الداي عبدي باشا وابنه آغا العرب، ومكّنته من صداقتهما وساعدته على النجاح في مهمته العلمية, وهكذا فإن من أهم المصادر التي اعتمد عليها صاحب الرحلة وبعثته العلمية هي مساعدات وتسهيلات الداي عبدي باشا.

ج- آغا العرب:

بما أنّ هابنسترايت طبيب فقد كان يصف الأدوية لعامة الناس والشخصيات المهمة في البلاد، فقد أعجب آغا العرب بالوصفات الجيدة لدوائه، ومقابل ذلك الدواء كان يقدم له الهدايا التي تتمثل في بعض الحيوانات النادرة، وهذه الحيوانات هي بمثابة كنز ثمين لدى الرّحالة، فهي تساعده في أبحاثه العلمية، وتحقيق هدفه الرئيسي في البحث عن أكبر عدد ممكن من الحيوانات النادرة في شمال إفريقيا لينال رضى ملك سكسونيا, الذي قام بإرساله على رأس بعثة علمية.

4- المعاينة الشخصية والملاحظة المباشرة:

أ-الخروج مع المحلة وزيارة المدن:

كان هابنسترايت جد مسرور بسبب خروجه مع جنود المحلة، الذين يقومون بجمع الضرائب من السكان، وذلك من أجل تحقيق أهدافه، وأثناء رحلته مع المحلة زار العديد من المناطق نذكر منها:

1- مليانة: زار هابنسترايت مدينة مليانة وقال عنها: "... مبنية على نتوء صخري عند جبل زكار ... واكتفينا بمعاينة معالم صهاريج وخبايا مياه، وبقايا سور متين البناء".[1]

وللتأكيد على صدق المعاينة الشخصية والملاحظة المباشرة استندنا إلى جملة من الكتابات التاريخية نذكر منها:

-القزويني[2] زكرياء بن محمد بن محمود (605هـ-1203م/682هـ-1283م): أكد القزويني: "أن مليانة مدينة كبيرة بالمغرب من أعمال بجاية مستندة إلى جبل زكار، وهي كثيرة الخيرات وافرة الغلات".[3] رغم أن الفارق الزمني بينهما حوالي خمس قرون .

-الشريف الإدريسي[4] أبو عبد الله محمد بن عبد الله (493هـ-1100م/560هـ-1166م): يقول عنها "لها تاريخ قديم وهي تتمتع بموقع جغرافي ممتاز أراضيها زراعية خصبة تجري بها أودية وأنهار".[5]

2-المدية:

قال عنها هابنسترايت: "المدية هي مدينة بها حصن بني على نتوء صخري ... ويشهد تاريخها القديم وجود خبايا مياه رومانية جميلة".[6]

---

[1]- ج. أو. هابنسترايت، المصدر السابق، ص ص 61-62.

[2]- القزويني: يعود نسبه إلى أنس بن مالك، اشتغل بالقضاء ويعرف في الأصل كمؤرخ وجغرافي، أنظر: خير الدين الزركلي، الأعلام قاموس تراجم أشهر الرجال والنساء من العرب المستعربين والمستشرقين، ج3، دار العلم للملايين، بيروت، 1990، ص 46.

[3]- زكرياء بن محمد بن محمود القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد،دار بيرو للطباعة والنشر، بيروت، 1979، ص 273.

[4]- الإدريسي: ولد بسبتة المغربية، وينتسب إلى بيت الأدارسة، تعلم بقرطبة، أنظر: أغناطيوس يوليانوفتش كراتشوكوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ترجمة: صلاح الدين عثمان هاشم، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1987، ص ص304-305، 322.

[5]- أبو عبد الله محمد بن عبد الله الشريف الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس، تحقيق: إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983، ص 154.

[6]- ج. أو. هابنسترايت، المصدر السابق، ص ص 65، 67.

-فونتير دو بارادي (Venture de Paradis): اعتبر دو بارادي مدينة المدينة قيادة من القيادات الست التي يتكون منها إقليم الجزائر، وكانت مدينة المدية هي محل إقامة باي التيطري.[1]

-شاو (Shaw): يقول عنها بأنها تقع المدية على حافة وادي مزفران، على بعد ثلاثة فراسخ في الجهة الخلفية لجبال الأطلس على المنحدر المقابل لهذه الجبال.[2]

- **مارمول كربجال:** اعتبر كربجال المدية مدينة تاريخية كبيرة بناها الأمازيغ، أرضها كثيرة الحدائق والبساتين.[3]

ونجد كذلك محمد المختار اسكندر في كتابه المدية يؤكد أن المدية مبنية على سهل جميل خصب.[4]

وكان على مدينة المدية حاكم تركي يعينه داي الجزائر، وكان هذا الأخير يخشى سلطة باي التيطري.[5]

ب- دراسة الآثار:

تنقل صاحب الرحلة من منطقة لأخرى وعيناه موجهتان للبحث عن الآثار والنقوش لمعرفة تاريخ هذه المناطق من خلال ربط ماضيها بحاضرها، ومن بين المدن الأثرية التي زارها هي:

---

[1] - Venture de Paradis,Alger au XVIII Siécle, op.cit, p117.

[2] - Thomas Shaw, op.cit,p 175.

[3]- مارمول كربجال، المصدر السابق، ص 373.

[4]- محمد المختار إسكندر، المدية بين القديم والحديث، طبع بالمؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1986، ص34.

[5]- عبد الرحمان الجيلالي، تاريخ المدن الثلاث الجزائر – المدية – مليانة، ط2، وزارة الثقافة لمديرية الفنون والآداب، الجزائر، 2005، ص 329.

1- عنابة:

بعد مغادرة هابنتسرايت مدينة الجزائر كانت وجهته التالية مدينة عنابة حيث قال عنها: "... سرنا عبر سهل جميل مغطى بأشجار البرتقال والعناب، وهو الشجر الذي أخذت منه المدينة اسمها،[1] فمدينة بونة أو هيبون القديمة[2] تعرف في اللغة الموريسكية بعنابة".[3]

2- قسنطينة:

تعتبر قسنطينة[4] من المدن التي أخذ سحرها كل الزائرين من رحالة وسياح، ومن بينهم هابنسترايت الذي أراد اكتشاف ومعاينة آثارها، ومن أهم ما ذكره عن آثار هذه المدينة: "... فقد كانت هذه المقاطعة تحت الحكم الروماني مزدهرة جدا وهذا ما تشهد عليه الآثار المتناثرة بكثرة".[5]

بعد الاطلاع على المصادر التي اعتمد عليها هابنسترايت في كتابة رحلته، ويمكن أن نستنتج أن ما ساعد على نجاح مهمته هو اعتماده على علوم مساعدة لعلم التاريخ, ومنها علما الآثار والجغرافيا على وجه الخصوص.

---

[1]- عنابة: وهي مدينة تعرف ببلد العنب لأن أكثر شجر هو العناب، ويطل على بونة جبل كثير الثلج، أنظر: مولاي بالحميسي، المرجع السابق، ص 53.

[2]-مدينة بونا: وهي من كلمة Hippo أو Hippona وهي رومانية البناء.أنظر: Thomas Shaw, op.cit, pp338-340

[3]- ج. أو. هابنسترايت، المصدر السابق، ص ص 80-81.

[4]- قسنطينة: هي مدينة سرت القديمة، وهي تقع على نهر يسمى الرمال، على مسافة نحو أربعين ميلا من البحر، وقسنطينة كانت لها آثار رومانية. أنظر: وليام شالر، المصدر السابق، ص 36. Thomas Shaw, op.cit, p331.

[5]- ج. أو. هابنسترايت، المصدر السابق، ص 85.

أ-علم الجغرافيا:[1]

تعد الجغرافيا من العلوم التي لها صلة مباشرة بعلم التاريخ، فالتاريخ يدرس الحدث والجغرافيا تلقي الضوء على مكان ذاك الحدث وتغيراته الجغرافية، وصاحب الرحلة استند في موضوعه على العلوم الطبيعية, من حيث أنه يصف المنطقة سهلا, جبلا, وتلا...

ب- الطب:

لم يكن صاحب الرحلة مجرد رحالة هاوي، بل كما عرفنا سابقا أنه عالم نباتات وحيوانات، وهذا ما سهل من مهمته أثناء بحثه عنها، وكونه يقدم الوصفات الطبية عن طريق التداوي بالأعشاب أكسبه معرفة بأنواع النباتات.

[1]- الجغرافيا: هي دراسة التغير المكاني الطارئ على سطح الأرض وعلى علاقة الإنسان بمحيطه، ومن المواضيع التي تحظى باهتمام أساسي من قبل الجغرافيين العلاقات المتبادلة بين المناخ والتضاريس والحياة النباتية، وأصناف التربة والسكان والنشاطات الاقتصادية والوحدات السياسية. أنظر: أطلس العالم الكبير، مغامرات مشوقة في الجغرافيا، مكتبة الصغار، 1999، ص 04.

المبحث الأول: الأهمية في الجانب التاريخيو الجغرافي.

أولا: الأهمية التاريخية.

تطرق صاحب الرحلة إلى ذكر تاريخ مدينة الجزائر قبل مجيء العثمانيين، حيث تكلم بإيجاز عن أهم المحطات التاريخية للجزائر، فقد قال عن تاريخيها: "فمدينة الجزائر عاصمة المملكة التي تحمل اسمها، والتي عرفت باسم موريطانيا القيصرية ... وهذه البلاد "مملكة الجزائر" تعرف عادة لدى الكتاب الأوربيين ببرباريا (Barbarie)، في بداية القرن الخامس الميلادي أخضعها جنسريق (Genseric) .. لسيطرة الوندال، وقد طرد القائد البيزنطي بليزير (Bélisaire) منها الوندال سنة 533م، وظلت تحت سيادة بيزنطة حتى فتحها العرب سنة 663م".[1]

ونؤكد على كلامه اعتمادا على ما كتبه المؤرخون في هذا الشأن بداية من أصل تسمية الجزائر، هي في الأصل جمع جزيرة، وهي أرض في البحر ينجزر عنها المد،[2] وهذا اسمها بالعربية،[3] وهو ما يطابق قول هابنسترايت: "وقد سميت عند العرب بالجزائر بسبب وجود جزر قابلتها بالقرب من الساحل"،[4] وعرفت أيضا باسم موريطانيا القيصرية[5] بكسر الراء، قديمة البنيان فيها آثار محكمة تدل على أنها كانت دار مملكة لسالف الأمم.[6]

---

[1]- ج. أو" هبنسترايت، المصدر السابق، ص ص 24-27.

[2]- أحمد بن محمد بن علي بن سحنون الراشدي، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، ط1، تحقيق وتقديم: المهدي بوعبدلي، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013، ص 259.

[3]- وليام شالر، المصدر السابق، ص 72.

[4]- ج. أو" هبنسترايت، المصدر السابق، ص 35.

[5] - Diego de Heado, op.cit, p 7.

[6]- عبد الرحمان الجيلالي، المرجع السابق، ص 70.

وحسب الحقائق المتوفرة عن سكان شمال إفريقيا،[1] فقد أطلق عليهم اسم البربر وهي تعني حسب المفهوم اليوناني والمفهوم الروماني الإنسان الأجنبي الذي لا يتكلم بلغتهم،[2] ولما دخل العرب المسلمون إلى شمال إفريقيا أطلقوا على مدينة إيكوسيوم[3] جزائر بني مزغنة نسبة إلى قبيلة كانت تسكنها.[4]

وتعاقب عليها تاريخها عدة كيانات سياسية، فقد احتلت البلاد من طرف الرومان سنة 46 ق م،[5] والذي عقبه الاجتياح الوندالي الذي انحصر نفوذه في السواحل والجهات الشرقية من الجزائر، قبل أن يضع الغزو البيزنطي نهاية له سنة 533م،[6] وانتهى الحكم بزنطي سنة 663م، حيث أعقبه الفتح العربي الكامل لشمال إفريقيا.[7]

من خلال ذكر بعض التسميات التي عرفت بها مدينة الجزائر نجد أن لها جذور تاريخية منذ القدم، وتعاقبت عليها حضارات عديدة، الفينيقيون، الرومان، البيزنطيون، والعرب المسلمون، وبدورها أثرت وتأثرت بالأحداث التاريخية التي عرفتها.

إن تعرض الرحالة لذكر لمحة ولو كانت موجزة عن تاريخ الجز ائر هو بمثابة إبراز لأهم المحطات التي عرفتها.

---

[1]- لم يتطرق صاحب الرحلة إلى ذكر كل التسميات التي عرفت بها الجزائر، فذكرنا بعضها، وا ٍضافة إلى ما ذكر، عرفت الجزائر في العصور القديمة باسم نوميديا التي كان يحكمها في القرن الثالث ق. م ملكان صفاقس وماسينيسا، أنظر: يسرى الجوهري، شمال إفريقية، ط6، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الإسكندرية، 1980. ص 259.

[2]- عمار بوحوش، التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997، ص07.

[3]- إيكوسيوم: مركبة من جرأين "أي" معناه جزيرة و"كوسيوم" أي عشرون، ذلك أن الذين أسسوها كانوا عشرون (أصحاب هرقل). أنظر: عبد الرحمان الجيلالي، المرجع السابق، ص ص 12، 70.

[4]- علي عبد القادر حليمي، المرجع السابق، ص 137.

[5] -Laugier de Tassy, op.cit, p18.

[6]- ناصر الدين سعيدوني، الجزائر منطلقات وآفاق، مقاربات للواقع الجزائري من خلال قضايا ومفاهيم تاريخية، عالم المعرفة، الجزائر، 2008، ص 165.

[7] -Laugier de Tassy, op.cit, p 19.

ومن خلال ما قدمه صاحب الرحلة الذي أكد على أن تاريخ الجزائر ارتبط بالحضارة الرومانية، واستند في تبريره على الآثار الرومانية بهذه المنطقة، وكتابات الذين سبقوه، ولكن لم يتطرق الرحالة إلى نشأة مدينة الجزائر التي تعود إلى فترة ما قبل الرومان، بدليل قبل تواجد الحضارة الرومانية بالمنطقة كان تواجد الفينيقيين بها, وهذا ما يؤكده عبد القادر حليمي في كتابه مدينة الجزائر نشأتها وتطورها قبل 1830.

ثانيا: الأهمية الجغرافية.

حدد هابنسترايت الموقع الفلكي للجزائر، حيث قال: "تقع مملكة الجزائر بين خطي عرض 33° و37 -20° شمال خط الاستواء، وبين 15 و20° من خطوط الطول غرب جزيرة الحديد.[1]

ونجد هنا تقارب في الكتابات التاريخية وهذا ما ذكره دو بارادي(de Paradis) في قوله: "أن مدينة الجزائر تقع على خط عرض 46 و36° شمالا، وخط طول 3.3° إلى الشرق من خط أجرنيتش".[2]

وقد اتخذ العثمانيون من مدينة الجزائر عاصمة للإيالة، ومقرا لحكمهم وهي تقع على ساحل البحر، يمر بها خط عرض 36° 47’25’’، وخط طول 0° 42’ 25’’.[3]

ونجد كذلك عبد الرحمان الجيلالي في كتابه تاريخ المدن الثلاث الجزائر – المدية – مليانة يقول: "أن الجزائر مدينة عظيمة على ضفة البحر المتوسط الواقعة على درجة 36°

[1]- ربما يقصد بها جبل طارق أو إحدى جزر المحيط الأطلسي، مع العلم بأن تلك التسميات لم تعد معمولا بها بعد أن اعتمد على خط غرينيتش كأساس لتحديد خطوط الطول شرقا وغربا. أنظر: ج. أو. هابنسترايت، المصدر السابق، ص25.

[2] -Venture de Paradis, Alger au XVIII siècle, op.cit, p 03.

[3]- لطيفة بوراية، "مباني قلعة الجزائر العثمانية – دراسة تاريخية أثرية"، مجلة علوم الإنسان والمجتمع، العدد 11، 2014، ص ص 164-165.

و47 دقيقة و20 ثانية من العرض الشمالي و44 دقيقة و10 ثوان من خط طول باريس الشرقي".[1]

بينما نجد أحمد توفيق المدني يقول: "تمتد من الشرق إلى الغرب من درجة 6 شرقي إلى درجة 4 غربي من خط الزوال الذي يمر على مقربة من مدينة الجزائر، وتمتد من درجتي 37° و21° شمالا من خط الاستواء".[2]

أما بالنسبة إلى حدودها فقد تحدث عنها الرحالة فقال: "يحدها من الشمال البحر المتوسط، ومن الغرب مملكة فاس، ومن الشرق مملكة تونس، أما في الجنوب فتوجد جبال الأطلس،[3] ويبدو أنها حدودا غير دقيقة من الناحية الجغرافية.

وهذا ما أكدته الكثير من الكتابات التاريخية، فالحد الطبيعي الوحيد للقطر الجزائري هو الحد الشمالي المتكون من ساحل البحر الأبيض المتوسط،[4] أما من الشرق الأراضي التونسية،[5] ومن الغرب المغرب الأقصى،[6] ومن الجنوب الصحراء.[7]

ومن كل هذا يتبين لنا أن الجزائر تتمتع بموقع إستراتيجي هام، فهي تطل على البحر المتوسط من جهة الشمال، ومن جهتها الجنوبية عالما آخر من الأمم الإفريقية، وتحتضنها من جهة الشرق والغرب بقية الدول كل من تونس والمغرب، مما جعلها همزة وصل بين القارتين الإفريقية والأوروبية.

---

[1] - عبد الرحمان الجيلالي، المرجع السابق، ص 67.

[2] - أحمد توفيق المدني، جغرافية القطر الجزائري للناشئة الإسلامية، مطبعة العربية، الجزائر، 1948، ص 04.

[3] - ج. أو. هابنسترايت، المصدر السابق، ص 25.

[4] - أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص 07.

[5] - أحمد توفيق المدني، هذه هي الجزائر، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1956، ص 09.

[6] - وليام شالر، المصدر السابق، ص 27.

[7] - Thomas Shaw, op.cit,p 08.

سمحت لها حدودها المشتركة مع عدد من الدول الإفريقية بأن تكون معبرا رئيسيا نحو كل الجهات، فهي قلب شمال إفريقيا، كما أن موقعها ساعدها أن تكون محورا التقت فيه الحضارات المختلفة.

ونخلص أن موقع الجزائر له أهمية إستراتيجية وخصائص حيوية، تجمع بين ميزات نادرة استمدتها من موقعها المتوسط، فهي محور التقاء بين إفريقيا وأوربا، وبين المغرب والمشرق، ممرا حيويا للعديد من طرق المواصلات في الفترة الحديثة.

المبحث الثاني: الأهمية في الجانب الاجتماعيو الاقتصادي.

أولا: الأهمية الاجتماعية.

تطرق هابنسترايت إلى طبقات المجتمع الجزائر ي وأكد أن سكان المملكة ليسوا كلهم من أصول واحدة، فالحكومة بيد الأتراك، وينظرون إلى الجزائريين نظرة يشوبها الاحتقار ... وكلهم يمتهنون الجندية.[1]

وتأكد صدق كلامه من خلال مجموعة من الكتابات التاريخية ومنها: مؤيد محمود حمد المشهداني وسلوان رشيد رمضان , يؤكدان أن للأتراك نفوذ واسع بحكم احتكارهم المناصب الحكومية المهمة، واستمرت علاقتهم بالمجتمع الجزائري تتسم بالسوء والطابع النفعي البحت، دون أية محاولة للتوحيد السياسي،[2] وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن هناك تهميش للجزائريين في حكم بلادهم, وأنه لا يوجد في الإمبراطورية العثمانية علاقة أسوأ من علاقة الترك بالعرب في مملكة الجزائر،[3] كما أنهم يعملون في الجيش ويمارسون

[1]- ج. أو. هبنسترايت، المصدر السابق، ص ص 29-30.

[2]- مؤيد محمود حمد المشهداني وسلوان رشيد رمضان، أوضاع الجزائر خلال الحكم العثماني 1518-1830، مجلة الدراسات التاريخية والحضارية ، العدد 16، جامعة تقرت، 2013، ص ص 425، 427.

[3] -H. D. De Grammont, Histoire d'Alger sous la domination Turque (1518-1830), ernest le roux, éditeur 28 rue Bonaparte, Paris, 1887, p219.

الوظائف الإدارية،[1] ويستقرون في حصون وثكنات مدينة الجزائر وكان تواجدهم أيضا في القصور والمنتزهات.[2]

أما الفئة الثانية التي تحتل المرتبة الثانية في الهرم الاجتماعي، وهم المنحدرون من آباء أتراك وأمهات جزائريات يحملون اسم الكراغلة.[3]

وهذا ما ذكره دي غرامون أنهم منحدرون من أب تركي وأم جزائرية،[4] وظهرت هذه الفئة في المدن التي تمركزت بها الحاميات العثمانية، كما عملت السلطات على منعهم من الدخول إلى الديوان أو في الأوجاق فأصبح المجال الوحيد الذي يعملون فيه هو النشاط البحري، كانوا تجارا وحرفيين.[5]

وبعد ذلك تحدث الرحالة عن الفئة الثالثة(الحضرية) فقال عنها: "أنهم السكان الأوائل للمدينة، فنجد أملاكهم معرضة للمصادرة لأقل خطأ يصدر منهم في حق الأتراك، وهم في مجموعهم يشتغلون كعمال وتجار".[6]

وفي نفس الصدد تحدث طيب لعقاب بقوله: "أما الفئة التي تتكون من العائلات الحضرية المتأصلة بالبلاد،[7] وتميزوا بعاداتها وتقاليدها الخاصة وبوضعها الاجتماعي المتميز مما جعل أفرادها يؤلفون طبقة اجتماعية ميسورة ويشتغلون في المهن الصناعية ويتولون وظائف السلك القضائي،[8] وكانت فئة محرومة من المناصب السياسية.[9]

---

[1]- ناصر الدين سعيدوني والمهدي بوعبدلي، الجزائر في التاريخ العهد العثماني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص 93.

[2]- نفسه، ص 92.

[3]- ج. أو. هبنسترايت، المصدر السابق، ص 29.

[4] -H. D. De Grammont, op.cit, p 149.

[5]- مؤيد محمود حمد المشهداني وسلوان رشيد رمضان، المرجع السابق، ص 426.

[6]- ج. أو. هابنسترايت، المصدر السابق، ص 32.

[7]- محمد الطيب عقاب، قصور مدينة الجزائر في أواخر العهد العثماني، دار الحكمة للنشر، الجزائر، 2009، ص 20.

[8]- ناصر الدين سعيدوني والمهدي بوعبدلي، المرجع السابق، ص 97.

[9]- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، المرجع السابق، ص 155.

والفئة الرابعة وهي اليهود التي قال عنها: "أن مدينة الجزائر مأهولة بعدد كبير من اليهود ويسدد كل واحد منهم ضريبة تقدر بريالين في الشهر".[1]

وفي نفس السياق يذكر ناصر الدين سعيدوني أن اليهود في الجزائر إحدى الطوائف المهمة لكثرتهم ولتحكمهم في النشاط التجاري، ويتوجب عليهم دفع ضريبة شهرية في شكل رسم عن كل يهودي لخزينة البايلك تقدر بحوالي ألف ريال بوجو (الريال بوجو قيمته 86.1 فرنك فرنسي سنة 1830)،[2] وأنهم تمتعوا في بلاد المسلمين بحقوق لم يعرفوها في البلدان الأوروبية.[3]

واستعرض كذلك هابنسترايت فئة الأقاليم الداخلية،[4] ومنها البساكرة نسبة إلى بلدهم الأصلي بسكرة، يعملون في تنظيف الشوارع والمنازل ويقومون بالحراسة في الليل.[5]

وهذا ما يتناسب مع ما ذكره كل من ناصر الدين سعيدوني وصالح عباد، أنهم اشتهروا بحمل الأثقال والحراسة والعمل في الحمامات العمومية.[6]

كما قدم لنا هابنسترايت فئة الأسرى الأوروبيين، فقال عنهم "أن أغلبهم من الإسبان، البرتغاليون، الإيطاليون والألمان غير أنّ عددهم قليل جدا بمدينة الجزائر، وهم يحضون باحترام الأتراك.[7]

---

[1]- ج. أو. هابنسترايت، المصدر السابق، ص 33.

[2]- ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي، المرجع السابق، ص 105.

[3]- نجوى طوبال، طائفة اليهود بمجتمع مدينة الجزائر 1700-1830 من خلال سجلات المحاكم الشرعية، دار الشروق للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2008، ص 27.

[4]- ويقصد بها هنا هابنسترايت البرانية لكونهم دخلاء على المدينة وينسبون إلى موطنهم الأصلي ويكلفون ببعض الأعمال المتواضعة التي يأنف من تأديتها سكان المدينة من حضر وأندلسيين لكونها مهنا متواضعة وإن كانت توفر لأصحابها مدخولا ماليا محترما، وأهم جماعاتهم: بنو ميزاب الذين كانوا يعملون في الحمامات وجماعة القبائل التي تشتغل في مختلف المهن اليدوية، والأغواطيون الذين كانوا يعملون في الكيل والوزن، والجيجليون الذين كانوا يشتغلون في أفران الخبز، والزنوج المسخرين للعمل في المنازل. أنظر: ناصر الدين سعيدوني والمهدي بوعبدلي، المرجع السابق، ص ص 99، 105.

[5]- ج. أو. هابنسترايت، المصدر السابق، ص 33.

[6]-ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي، المرجع السابق، ص 45. وللمزيد أنظر:صالح عباد، المر جع السابق، ص551.

[7]- ج. أو. هابنسترايت، المصدر السابق، ص 34.

وجاء هذا على لسان هايدو حيث قال: "أن أصولهم تعود إلى مختلف الدول الأوروبية كما كان هناك بعض الأسرى الأمريكان،[1] وكانوا يعاملون معاملة جيدة، ويقوم الآباء المنقذين بإسكان الأسرى المحررين في منازل اليهود حتى يأتي موعد سفرهم النهائي.[2]

وهنا يتبين لنا أن مجتمع مدينة الجزائر لا يختلف عن باقي المجتمعات الأخرى، وبالرغم من تنوع فئاته السكانية فإنها كانت تتميز بالانسجام والترابط، كما أن هذه الفئات التي لها دور في المجتمع الجزائري فئة اليهود والأسرى المسيحيون غير أن فئة الأسرى لم تكن لها أهمية كبيرة في القرن الثامن عشر، نتيجة للمعاهدات والاتفاقيات الودية المبرمة مع الدول الأوروبية، و أن نشاط اليهود قد استفحل مع نهاية القرن الثامن عشر إذ أصبحت التجارة الخارجية الجزائرية في أيديهم وهذا ساعدهم على كسب ثروات طائلة.

ونعتقد أن الامتزاج الحقيقي الذي عرفه المجتمع الجزائري، والذي أدخل عليه بعض الملامح الأوروبية، قد كان عن طريق الأندلسيون، والأتراك العثمانيون، والأعلاج، الذين اختلطوا بالعنصر المحلي، الأمازيغ والعرب, وعلى هذا الأساس نرى أن المجتمع الجزائري يمكن تقسيمه إلى مجموعتين، سكان المدن الذين تحدثنا عليهم سابقا (مدينة الجزائر)، وسكان الريف الذين يخضعون لدفع الضرائب.

-في عاداته وتقاليده:

مارس سكان الجزائر عادات مختلفة وكثيرة، فقد صرّح هابنسترايت بأنها تستند إلى قوانين وليس فيها ما يفاجئ الأوربي، كغياب النساء عن الحياة العامة، فلا يسرن في الأزقة دون حجاب، وقد صادف أن وصل هابنسترايت إلى الجزائر في فترة سبقت الصيام، ولاحظ أن المسلمين يمتنعون عن شرب الخمر والأكل أثناء اليوم وطيلة الشهر، ومع نهاية الشهر

[1] - Diedo de Haedo, Topographie, op.cit, p 49.

[2] - كورين شوفالييه، الثلاثون سنة الأولى لقيام دولة مدينة الجزائر 1510-1541، جمال حمادنة، ديوان المطبوعات الجامعية، 2007، ص 67.

يأمر الداي بإطلاق المدافع إعلانا بانتهاء شهر رمضان وحلول العيد، وفي صبيحة يوم الأول من عيد الفطر يذهب الناس لإلقاء السلام وتقديم التهنئة للداي، توضع أمامه مائدة لتناول الغداء، ويتم الاستعداد للمبارزة الرسمية، وتكون مصحوبة بأنغام موسيقى الانكشارية.[1]

وهذا ما يتناسب مع ما ذكره جون ب . وولف "أن النساء الجزائريات المحترمات متحجبات في الشوارع، وأن معظم الملاحظين لم يرو سوى عيونهن،[2] ويؤكد ذلك حمدان خوجة بقوله: "تلتف النساء في نوع من الحائك يصنع من قماش القطن، ومن الصوف"،[3] ويتحدث فاغنر عن التقاليد المتبعة في شهر رمضان، وأيام عيد الفطر فيقول: "أن الإعلان عن بدء شهر الصيام يتم بإطلاق مائة طلقة من مدفع كبير، وبعد هذه الطلقات توقد المصابيح الكثيرة فوق منارات المساجد، وبعد احتفالات رمضان يحتفل المسلمون بالعيد الصغير وهو عيد البهجة والمغفرة، ويرتدي الأهالي فيه أجمل ما لديهم،[4] وهناك ألعاب كانت تجرى يوم عيد الأضحى على الخصوص، من ذلك الألعاب البهلوانية التي تشبه المصارعة.[5]

وهكذا تعتبر الصورة التي قدمها المؤرخون عن عادات وتقاليد المجتمع الجزائري, هي صورة تعكس ثقافة المجتمع الجزائري خلال العهد العثماني, وان التقاليد التي مارسها الجزائريون هي تقاليد إسلامية خاصة التي تقام في المناسبات الدينية.

---

[1]- ج. أو. هابنسترايت، المصدر السابق، ص 46.

[2]- جون ب. وولف، المرجع السابق، ص 169.

[3]- حمدان بن عثمان خوجة، المصدر السابق، ص 32.

[4]- أبو العيد دودو، الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمان 1830-1855، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989، ص ص 114، 118.

[5]- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، المرجع السابق، ص 160.

ثانيا: الأهمية الاقتصادية.

1-موارد الخزينة:

تعددت موارد الخزينة، فذكر صاحب الرحلة أن الخزينة تدخلها مقادير ضخمة من الأموال،[1] ومن بين مصادر دخلها حسب ما أورده:

أ-فدية الأسرى المسيحيين:

في هذا الشأن قال الرحالة: "تشكل تجارة المسيحيين إحدى موارد الدخل الرئيسية، فكل أسير له قيمة محددة ... الآباء المسيحيين المكلفين بفدية الأسرى ملزمون بتخليص أسرى الداي[2]".[3]

ونؤكد على ما قاله، إذ اكتسب سكان الجزائر ثروة من وراء فداء الأسرى، وهذا الفداء يجرى تحت إشراف المنظمات الدينية المسيحية[4].[5]

تتطلب عملية فداء الأسرى أموالا ضخمة تتحصل عليها خزينة الجزائر،[6] فقيمة العبد تختلف حسب مهنته وقوته،[7] وكانت تحدد من قبل الداي،[8] ففرنسا[9] مثلا اشترت عبيدها من

---

[1]- ج. أو. هابنسترايت، المصدر السابق، ص 42.

[2]- أسرى الداي: يعيش أسرى الداي داخل القصر، الذي يتربع على مساحة 400 متر مربع، وسط المدينة، ولا يمكنهم الهروب منه. أنظر: Laugier de Tassy, op.cit, p 164.

[3]- ج. أو. هابنسترايت، المصدر السابق، ص 42.

[4]- لعبت هذه المنظمات دورا كبيرا في الحصول على حرية الأسرى، خاصة منظمة الثالثوث المقدس التي تعتبر أكبر منظمة دينية لافتداء الأسرى تأسست سنة 1198. أنظر: قرباش بلقاسم، المرجع السابق، ص ص 188-189.

[5]- علي عبد القادر حليمي، المرجع السابق، ص 290.

[6]- ناصر الدين سعيدوني والمهدي بوعبدلي، المرجع السابق، ص 29.

[7]- علي عبد القادر حليمي، المرجع السابق، ص 289.

[8]- وليم سبنسر، الجزائر في عهد رياس البحر، تعريب وتقديم: عبد القادر زبادية، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2006، ص 159.

[9]-تطرقت معاهدة السلم بين فرنسا والجزائر في 24 أفريل 1684 إلى وضعية الأسرى الفرنسيين بالجزائر، حيث نصت المادة 04 على ضرورة تبادل الأسرى الموجودين عند كلتا الدولتين. أنظر: جمال قنان، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر الحديث 1500-1830، دار هومة، الجزائر، 1987، ص ص 295-297.

الجزائر في أواخر القرن 18م بما قيمته 51 مليون فرنك قديم.[1] ويبدو أن معظم المصادر الأوروبية التي اهتمت بالجزائر في تلك الفترة تحدثت عن الأسرى.

ولهذا يمكن القول أن خزينة الجزائر كانت تصلها مبالغ ضخمة من وراء افتداء الأسرى المسيحيين، خاصة الذين يصنفون كأسرى الداي لأهميتهم، فكلما كان الأسير مهما كان مبلغ افتدائه كبير، وينعكس بالإيجاب على خزينة الجزائر(مثل الضباط والأطباء والسياسين...).

ب- الغنائم البحرية:

تعتبر الغنائم البحرية هي الأخرى إحدى مصادر دخل الخزينة، فقد قال صاحب الرحلة: "تخرج سفن إيالة الجزائر للبحث عن الغنائم .."[2].

وهذا ما ذكر في الكتابات التاريخية، إن هذا العمل قبل كل شيء هو شكل من أشكال الجهاد البحري،[3] فقد جعلت من الجزائر قوة.[4]

لطالما كانت الغنائم البحرية التي يجلبها الرياس المحرك الرئيسي للسوق،[5] فهم يمثلون مصدر رزق التجار،[6] فقاعتمد الأتراك طيلة حكمهم للجزائر على أسطول كانت له منافع عديدة، منها جلب الأرزاق وحماية البلاد.[7]

---

[1]- علي عبد القادر حليمي، المرجع السابق، ص 289.

[2]- ج. أو. هابنسترايت، المصدر السابق، ص 43.

[3]- كورين شوفاليه، المرجع السابق، ص 38.

[4]- وليم سبنسر، المرجع السابق، ص 07.

[5]- مبارك بن محمد الهلالي الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج3، مكتبة النهضة الجزائرية، 1964، ص123.

[6]- أرزقي شويتام، المجتمع الجزائري وفعالياته في العهد العثماني 1519-1830، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه، في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، 2005-2006، ص 169.

[7]- علي عبد القادر حليمي، المرجع السابق، ص 280.

لقد تكونت الغنائم البحرية التي يتحصل عليها العثمانيون في نشاطهم البحري على العموم من السفن باختلاف أنواعها،[1] وهذا ما صرّح به حمدان خوجة: "عندما تجلب الغنائم إلى مدينة الجزائر تباع للسكان وتوزع قيمتها حينا على ذوي الحقوق .."،[2] وفي الموضوع ذاته يذكر أحمد الشريف الزهار: "... كانت الغنائم تباع فيقع ربح قوي ووفير".[3]

مما سبق ذكره، يتضح لنا بأن الجهاد البحري شكل إحدى ركائز الاقتصاد الجزائري, وساهم بشكل كبير في ثراء خزينتها، فتكاثرت الغنائم البحرية بفضل قوة الأسطول الجزائري، فغنائمه جعلت من مدينة الجزائر مدينة ثرية ومزدهرة، يسودها الرخاء والرفاهية.

ج- المحلة ودورها الجبائي:

أما عن جباية الضرائب التي كان يقوم بها جنود المحلة، فقد ذكر صاحب الرحلة أن داي الجزائر كان يرسل فرق الجند المعروفة بالمحلة، وقت الحصاد لاستخلاص الجبايات.[4]

و استنادا الى بعض المؤلفات، فإن المحلة هي المكلفة بجمع أموال الزكاة وغيرها من أنواع الضرائب[5]،[6] فكانت ترسل فرقة من الخيالة التركية لجمع الضرائب ومعاقبة العصاة والقضاء على الثوار،[7] وللمحلة رحلتان في السنة، ومهامها هي جباية الضرائب،[8] فإلى جانب

---

[1]- وليام شالر، المصدر السابق، ص 43.

[2]- حمدان خوجة، المصدر السابق، ص 50.

[3]- أحمد الشريف الزهار، مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار نقيب أشراف الجزائر (1168هـ-1246هـ) لـ(1754-1830م)، تحقيق: أحمد توفيق المدني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974، ص 27.

[4]- ج. أو. هابنسترايت، المصدر السابق، ص 33.

[5]- من بين أنواع الضرائب: اللزمة، والتي تفرض على بعض قبائل الرعية الجبلية، الغرامة، تفرض على القبائل الممتنعة البعيدة، المعونة: تعرف أيضا بالكبش يتعهد بها الشيوخ لفائدة تمويل الحاميات والمعروفة بالدنوش. أنظر: ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، ط2، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص ص 232-233.

[6]- مؤيد محمود حمد المشهداني وسلوان رشيد رمضان، المرجع السابق، ص 16.

[7]- أبو العيد دودو، المرجع السابق، ص 75.

[8] -Venture de Paradis, Alger au XVIII siècle, op.cit, p 53.

تحصيل الضرائب الذي كان الهدف الأول والأساسي، كان للمحلة هدف ثانوي تمثل في فتح مصادر تمويل جديدة بإخضاع المزيد من الأهالي للدولة.[1]

إن هذه الرحلة توضح لنا السياسة الجبائية للسلطة العثمانية بالجزائر، التي استندت على هيئة عسكرية، وهي المحلة التي كانت تجوب البلاد لأجل جمع الضرائب من السكان.

فهذه الضرائب ساهمت في الانتعاش الاقتصادي للإيالة، بمساهمة قبائل المخزن،[2] كدعامة إستراتيجية لجباية الضرائب.

كانت الوظيفة الأولى للمحلة هي استخلاص الضرائب، بالإضافة لوظائف أخرى كمعاقبة القبائل الممتنعة عن دفع الضريبة، فهي تخلق نوع من التوازن بين النظام الاقتصادي والعسكري، فللمحلة دورين دور اقتصادي ودور عسكري.

ويمكن القول أن هذه الجبايات بمختلف أنواعها ساهمت في تدفق أموال طائلة على خزينة الجزائر، ويعود الفضل في ذلك إلى جنود المحلة، هذه الأموال استعملت لأغراض عديدة منها: دفع أجور الجند والموظفين.

2- الثروة الحيوانية والنباتية:

أ-الحيوانية:

قدم صاحب الرحلة وصفا لحيوانات الجزائر، حيث يذكر: "توجد أنواع مختلفة من الحيوانات ... أما بحر الجزائر فوفر لمجموعتي أسماك نادرة".[3]

وعن ثورة الجزائر الحيوانية قال الدكتور شاو (Shaw) أن في هذه الأجزاء توجد طيور، بالإضافة إلى الحمير والبغال والماشية وهي الثروة الرئيسية، فالأغنام و الماعز

---

[1] -Laugier de Tassy, Op.cit, P 258.

[2]- قبائل المخزن: رجل المخزن بالمعنى الحرفي هو أداة أو عون، ويشار إلى فرسان المخزن بأسماء عديدة منها المخزنية أو الزمول، ويشكل فرسان المخزن القوة الأساسية للإدارة التركية في الأرياف. أنظر: صالح عباد، الجزائر خلال الحكم التركي (1514-1830)، ط3، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2011، ص 487. وناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية، المرجع السابق، ص 258.

[3]- ج. أو. هابنسترايت، المصدر السابق، ص 51.

و الأبقار هي التي تنتج الحليب، ولصناعة الجبن يستخدمون نبات الخرشوف البري ولتحويل الحليب إلى رائب أو لبن يسكبونه في سلال صغيرة مصنوعة من جلد الماعز.[1]

لقد سمحت هذه الثروة الحيوانية بأن تكون الجزائر من الدول المصدرة لها.[2]

ب- النباتية:

أشار الرحالة إلى نباتات الجزائر فذكر أن بها الكثير من الحدائق،و أشجار العنب والبرتقال واللوز وأشجار الزيتون، ونبات الصبار، والنخيل، وأن أراضي الجزائر صالحة جدا للزراعة.[3]

يوجد إقليم مدينة الجزائر في منطقة تتوفر بها الضوابط الجغرافية لنمو النباتات الطبيعية،[4] فكانت كل منطقة مختصة في إنتاج أنواع معينة من المحاصيل الزراعية،[5] فكانت كمية كبيرة من القمح تنتجها سهول قسنطينة ومتيجة، أما زراعة الأشجار المثمرة ارتبطت بالمناطق الجبليةو[6] إلى جانب الحبوب كان ينتج إقليم مدينة الجزائر أصناف من الفواكه، مثل البرتقال والمشمش والليمون والتين.[7]

من خلال عرض موجز لحيوانات ونباتات الجزائر نقول أنها غنية بكلتا الثروتين، فمن الأسباب التي جعلت هابنسترايت يزور الجزائر هو الحصول على عينات من نباتاتها وحيواناتها لاستخدامها في أبحاثه العلمية.

---

[1] -Thomas Shaw, op.cit, pp 39-43.

[2] -Venture de Paradis, Alger au XVIII siècle, op.cit, P 123.

[3]- ج. أو. هابنسترايت، المصدر السابق، ص ص 50-51.

[4]- علي عبد القادر حليمي، المرجع السابق، ص 114.

[5]- أرزقي شويتام، المرجع السابق، ص 215.

[6]- ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي، المرجع السابق، ص ص 32-33.

[7]- علي عبد القادر حليمي، المرجع السابق، ص 295.

المبحث الثالث: الأهمية في الجانب السياسي والعسكري.

أولا: الأهمية السياسية.

1-إلحاق الجزائر بالدولة العثمانية:

أشار هابنسترايت إلى ظروف إلحاق الجزائر بالدولة العثمانية، فقد قال أن الأتراك افتكوها من الإسبان الذين كانوا يحتلون وهران،[1] فدخلها الإخوة بربروس[2] عروج وخير الدين، ولما توفي عروج انتخب الجند أخاه خير الدين ليخلفه، فاعترف بسيادة الدولة العثمانية على البلاد الجزائرية، ومنذ ذلك العهد أصبحت الجزائر ضمن أملاك السلطان العثماني.[3]

وفي نفس هذا الاطار يرى الأسير هايدو (Haedo) أنه بظهور الإخوة بربروس شهدت منطقة المغرب الإسلامي تطورات متسارعة تمخض عنها ميلاد الدولة الجزائرية، والتي أصبحت فيما بعد القوة المهيمنة على البحر الأبيض المتوسط.[4]

فاستقر الحكم العثماني بمدينة الجزائر بعد أن استطاع الأخوان بربروسة رد الحملة الإسبانية ، لكن استشهاد عروج بنواحي تلمسان سنة 1518، وتصميم الإسبان على احتلال مدينة الجزائر، دفع أعيان المدينة إلى الاستنجاد بالدولة العثمانية والدخول تحت طاعتها.[5]

---

[1]- ونذكر بعض الحملات الإسبانية على الجزائر: حملة بيدرو نافارو على المرسى الكبير 1505، وعلى وهران 1509، وبجاية 1510، وعنابة 1510. أنظر: يحيى بوعزيز، مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2008، ص 58.

[2]- الإخوة بربروس:هم عروج وخير الدين وا إسحاق، وقد توفي كل من إسحاق وعروج في البداية، وتولى خير الدين حكم الجزائر سنة 1518، فتمكن من التغلب على الصعاب بفضل مساعدة الباب العالي وذكائه. أنظر: وليم سبنسر، المرجع السابق، ص 12.

[3]- ج. أو. هابنسترايت، المصدر السابق، ص 27.

[4] -Diego de Haedo, Histoire des rois d'Alger, traduit de l'éspagnol par Grammont, H. D, édition grand-Alger livres,Alger, 2004, P 14.

[5]-نصر الدين براهمي، تاريخ مدينة الجزائر في العهد العثماني، منشورات ثالة، الجزائر، 2010، ص 47.

2- الدايات (التعيين والاغتيالات):

تحدث هابنسترايت عن كيفية تعيين الدايات بقوله: "لقد ظل الباب العالي يرسل إلى الجزائر باشوات يمثلون السلطان حتى سنة 1710، وعندما رفض الديوان الممثل للحامية استقبال الباشا ممثل السلطان، أصبح الداي أو رئيس الحامية منذ ذلك اليوم صاحب السيادة في حكم الجزائر".[1]

عملت اسطنبول على إرسال باشا شكلي ليساعد الداي،[2] ويرى حمدان خوجة أن اختيار الداي يكون من ضمن الموظفين السامين،[3] ويحكم الداي بموجب ذلك لمدى الحياة، وكان الدايات يتعرضون للاغتيال.[4]

مما سبق ذكره نجد أن صاحب الرحلة أشار إلى أهم وأبرز الأحداث السياسية التي عرفتها إيالة الجزائر، فالتواجد العثماني بالجزائر كان مرتبط بظهور الإخوة بربروس في منطقة البحر المتوسط.

ويعتبر عهد الدايات هو المرحلة التي عرفت فيها الجزائر نوع من الانفصال عن الدولة العثمانية، وبقيت التبعية شكلية فقط، إلا أنه ما ميز هذا العهد كثرة الاغتيالات.

أشار هابنسترايت إلى أن الديوان هو مجلس مؤلف من كبار ضباط الأوجاق وهم الآغوات الذين يصلون إلى هذه المرتبة بالتتابع حسب تقدمهم في السن،[5] ويترأس الديوان

---

[1]- ج. أو. هابنسترايت، المصدر السابق، ص 28.

[2]- سفيان صغيري، العلاقات الجزائرية العثمانية خلال عهد الدايات في الجزائر (1671-1830)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، تخصص التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم الإسلامية، جامعة الحاج لخضر، 2011-2012، ص 40.

[3]- حمدان خوجة، المصدر السابق، ص 127.

[4]- أحمد السليماني، النظام السياسي الجزائري في العهد العثماني، الجزائر، 1994، ص 19.

[5]- جميع أعضاء الديوان تقريبا يكونون متقدمين في السن. أنظر: حمدان خوجة، المصدر السابق، ص 120.

آغا[1]، يصاحبه الشواش،[2] والضباط السامين[3] وهم الكاهية،[4] ومعزول آغا، وسلك الضباط من رتبة بلوك باشي وأوده باشي[5] والبيك باشي، أما رئيس الهيئة الدينية فهو المفتي[6] بمثابة القاضي.[7]

كما بيّن هابنسترايت أن قصر الداي يستعمل في نفس الوقت كقصر للعدالة، وكانت كلمة شرع الله أو عدالة الله لها في هذا المقام وزن كبير، والأتراك تتم معاقبتهم في سرية حفاظا لكرامتهم، بينما تنفذ الأحكام علانية في الحضر وباقي الطوائف عند باب عزون والأسرى المسيحيون يقومون بمهنة الجلد.[8]

وهذا ما يتناسب مع ما اقتنع به ناصر الدين سعيدوني وبوعبدلي أن النظام القضائي في نصوصه يعتمد على الشريعة الإسلامية،[9] ويمتاز بالسرعة في الفصل في القضايا،[10] ونجد أن الأتراك يتمتعون بميزات خاصة في القضاء تميزهم عن بقية المواطنين، حتى أن

---

[1]- الآغا: وهو القائد الأعلى والذي يمكن تسميته بوزير الحربية. أنظر: وليام شالر، المصدر السابق، ص 43.

[2]- الشواش: ينقسمون إلى أقسام عديدة، منها: شواش الديوان أو شواش القصبة يميزون بالعمامة المبرجة، يهتمون بإلباس الداي البشماق عند خروجه من صلاة الجمعة، وشواش الصفار: يكون في خدمة آغا الانكشارية خلال الأعياد الدينية وأيام دفع الضرائب بالإضافة إلى آخرين. أنظر: Venture de Paradis,Alger au XVIII siècle, op.cit,pp 56-77

[3]- الضباط السامون: يساعدون الداي في تأدية مهامه، حيث يعينهم الداي بنفسه، ويتخذهم كوزراء، ومنهم الخزناجي وله أهمية كبيرة في النظام المالي الذي له حق التصرف في خزينة الدولة. أنظر: محمد خير فارس، تاريخ الجزائر الحديث من الفتح العثماني إلى الاحتلال الفرنسي، ط2، مكتبة دار الشرق، بيروت، 1979، ص 71.

[4]- الكاهية: نائب الباش شاوش، ويمتاز بلبس العمامة المبرجة. أنظر: علي خلاصي، المرجع السابق، ص 59.

[5]- بولوكباشي: آغا النوبة، ومعناه نقيب (قائد الكتيبة، الأجر الشهري 5ريال ذهبي وله امتياز ات ربع خروف وأربع خبزات يوميا. أنظر: جميلة معاشي، الانكشارية والمجتمع بايلك قسنطينة في نهاية العهد العثماني، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في التاريخ الحديث، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة منتوري، قسنطينة، 2007-2008، ص 28.

[6]- يضم المجلس إضافة إلى الموظفين المذكورين المفتي المالكي والمفتي الحنفي، أنظر: علي خلاصي، المرجع السابق، ص 188.

[7]- ج. أو. هابنسترايت، المصدر السابق، ص ص 44-45.

[8]- نفسه، ص 39.

[9]- ناصر الدين سعيدوني والمهدي بوعبدلي، المرجع السابق، ص 22.

[10]- عميراوي أحميدة، المرجع السابق، ص 71.

تنفيذ الأحكام تتم بسرية حفاظا على كرامتهم،[1] بينما إذا تعلق الأمر بغير الأتراك فإن العقوبات تنفذ أمام الملأ بعد أن يشهر البراح بها في الأسواق.[2]

أما اليهودي أو النصراني الذي ينقص من معدن العملة تقطع يديه ويشنق ويطاف بجثته على ظهر حمار في أرجاء المدينة، والضرب بالعصا هو من الأمور الأكثر شيوعا، ولليهود قاض خاص بهم، بينما النصارى لهم الحرية في رفع تظلماتهم أمام قناصل دولهم.[3]

ونؤكد صدق كلام هابنسترايت بالقول أن لليهود محاكم خاصة بهم ولا يعودون في أحكامهم إلى القوانين المعمول بها في البلاد إلا إذا تعلق الأمر بالمخالفات التي تحدث بينهم وبين المسلمين.[4]

نظرا للأهمية البالغة للقضاء ودوره في إرساء العدالة بين أفراد المجتمع, يتبين لنا أن الحكومة كانت مصممة على أن يكون العدل من حق الجميع في كل الحالات, لكن نلمس بعض تجاوزات إذا ما تعلق الأمر بالأتراك.

وكذلك تطرق هابنسترايت إلى المقاطعات (البايلكات)، فتحكم من طرف البايات أو نواب الداي وتعطى لهم حرية التصرف،[5] ومن هذه المقاطعات نذكر دار السلطان، وهي التي كانت محددة من الشرق بجبال بلاد القبائل ووادي سباو، إلى وادي مسلمون غربا، أي على امتداد حوالي 150 كلم، ومن البحر إلى جبال الأطلس جنوبا،[6] وهي منطقة التي كان يحكمها الداي مباشرة،[7] وبايلك التيطري وعاصمته المدية،[8] التي كانت تحت إدارة حاكم تابع

---

[1]- صالح عباد، المرجع السابق، ص 173.

[2]- ناصر الدين سعيدوني والمهدي بوعبدلي، المرجع السابق، ص 23.

[3]- ج. أو. هابنسترايت، المصدر السابق، ص 40.

[4]- ناصر الدين سعيدوني والمهدي بوعبدلي، المرجع السابق، ص 23.

[5]- ج.أو.هانبنسترايت, المصدر السابق,ص45.

[6] -Nacereddine Saidouni, l'Algérois Rural A la fin de l'époque ottmone (1791-1830), Alam el Maarifa, Alger, 2010,p 8.

[7]- جون ب. وولف, المرجع السابق,ص398.

[8]- علي خلاصي, المرجع السابق, ص37.

مباشرة لديوان مدينة الجزائر دون أن تكون للباي أي سلطة عليه،[1] أما بالنسبة لبايلك الشرق فيتشكل من أربع مناطق جغرافية وهي القسم الشرقي الذي يشمل موطن النمامشة والقسم الشمالي الذي يمتد من عنابة إلى بجاية والقسم الغربي الذي يشمل مدينة سطيف إلى جبال البيبان والقسم الجنوبي المتاخم للصحراء،[2] وبايلك الغرب الذي يمتد من بايلك التيطري إلى غاية الحدود المغربية غربا ويقع هذا الإقليم غرب مدينة الجزائر.[3]

لقد كانت البايلكات التي تطرقنا إليها تخضع لنظام إداري تحت إشراف السلطة العثمانية الحاكمة، حيث كان يرتبط مباشرة بالداي في مركز الحكم التركي في مدينة الجزائر، وطبعا على رأس البايلك ممثل الداي وهو الباي, يعتبر من القادة الانكشاريين وله مهمته وسلطته المحدودة التي يمارسها.

ثانيا: الأهمية العسكرية.

1-التنظيم العسكري للجزائر في العهد العثماني:

تطرق هابنسترايت في حديثه عن النظام العسكري لإيالة الجزائر، وقال بأن هذا الجيش مكون من عناصر تركية، وأنه يقسم كل سنة إلى ثلاثة أقسام، وتكون إقامة هؤلاء الجنود في ثكنات عددها ثمانية، والداي هو المسؤول عن دفع مرتباتهم حتى إنه ذكر أن الجندي غير المتزوج يستلم أربعة أرغفة لكنه بعد زواجه تمنع عنه، والانكشاريون يصلون إلى أعلى المراتب في الدولة إلى غاية رتبة معزول آغا[4].[5]

---

[1]- أحمد الشريف الزهار, المصدر السابق, ص49.

[2]- محمد صالح العنتري, مجاعات قسنطينة, تعليق وتحقيق: رابح بونار, الشركة الوطنية للنشر والتوزيع, 1980, ص18.

[5]- Laugier de tassy, op.cit,p 94.

[4]- معزول آغا: خلال تقاعد "آغا العسكر" يطلق عليه معزول آغا، يستعين به الديوان في بعض الأمور، وتستغل خبرته العسكرية عند الحاجة. أنظر: حسان كشرود، رواتب الجند وعامة الموظفين وأوضاعهم الاجتماعية والاقتصادية بالجزائر العثمانية من 1659 إلى 1830، مذكرة لنيل شهادة الماجستير تخصص التاريخ الاجتماعي لدول المغرب العربي، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة منتوري، قسنطينة، 2007-2008، ص 96.

[5]- ج. أو. هابنسترايت، المصدر السابق، ص ص 25-32.

تحدثت كتابات أخرى عن هذا الموضوع، وقد اختلف المؤرخون في تعداد الجيش العثماني بالجزائر، قدر دوتاسي (De Tassy) القوات التركية بالجزائر بـ12 ألف جندي،[1] ووليام شالر ذكر أن عددهم كان 15 ألف جندي،[2] أما الكيفية التي كان يعمل بها الجند، قال هايدو (Haedo) أن عمل الانكشارية[3] مقسم إلى ثلاثة سنوات، السنة الأولى يتدرب فيها الجندي داخل إقامته بالثكنة،[4] والسنة الثانية يخرج لجباية الضرائب وقمع الثورات، أما السنة الثالثة له الحق في الراحة.[5]

2- مراتب الجند:

الرتبة	معناها
اليولداش	الجندي البسيط
أوداباشي	عريف (قائد الغرفة)
أوطراك	مستشار الآغا وهم 6 من الأوداباشي
البادوشا	حرص خاص: 2 للباشا و2 للآغا
الصوطاجي	4 مرافقين للباشا
بلوك باشي (آغا النوبة)	نقيب (قائد الكتيبة)
مورباشي بولوك	واسطة بين الآغا والباشا
ياباباشي	20 مرافق للباشا في صلاة الجمعة
باش بولوك باشي	أقدم بولوك باشي
كاهية الآغا	نائب الآغا
الآغا	القائد الأعلى للانكشارية[6]

[1] -Laugier de Tassy, op.cit, p204.

[2]- وليام شالر، المصدر السابق، ص 61.

[3]- الانكشارية: هي عبارة تركية تتكون من كلمتين "يني" وتعني الجديد و"جيري" معناها النظام، أي النظام الجديد، تكونت فرق الانكشارية بفضل عملية الدفشرمة وهي عملية جمع الصبية وتربيتهم تربية عسكرية إسلامية. أنظر: جميلة معاشي، المرجع السابق، ص ص 2-3.

[4] -Albert Devoulx, « les casernes des Janissaires à Alger », in. R.A, année 1858-1859, P P 132, 135.

[5] -Diego de Haedo, topographie et histoire d'Alger, op.cit, p513.

[6]- جميلة معاشي، المرجع السابق، ص 28.

من خلال ما ذكر، تميزت المؤسسة العسكرية الجزائرية أثناء العهد العثماني بتنظيم خاص وقوانين محكمة، وتعددت مهام الجيش من العسكرية إلى السياسية والاقتصادية، وهذا معناه أن الجيش هو أساس السلطة العثمانية بالجزائر.

3- نماذج من الحملات الإسبانية على الجزائر "حملة 1541 وحملة 1732".

تطرق صاحب الرحلة لذكر هاتين الحملتين، فوصف لنا الحملة الإسبانية التي قادها شارلكان على الجزائر سنة 1541 بأنها حملة بائسة.[1]

أشار العديد من المؤرخين لهذه الحملة، بداية إلى كيفية تحرك الأسطول سنة 1541 بقيادة شارلكان[2] إلى غاية انهزام ذلك الأسطول بفعل عون الله الذي أرسل عليهم الرياح العاصفة والأمطار وخرج عليهم المسلمون فقاتلوهم ونصرهم الله.[3]

أما الحملة الثانية التي قامت بها إسبانيا على الجزائر ونقصد بها حملة 1732[4] وهي السنة التي صادفت زيارة العالم الألماني للجزائر، فقدم لنا وصفا عن استعدادات حكومة الداي لرد هذه الحملة، ولم يشاهدها لأنه غادرها وتوجه إلى تونس بفعل الأوضاع السياسية غير المستقرة.

المبحث الرابع: الأهمية في الجانب المعماري.

قد بين هابنسترايت أن الجزائر شهدت حركة عمرانية وذلك من خلال قوله: "البياض الناصع لمنازلها ذات السطوح المشرفة على البحر وهو الذي يكسبها منظرا متميزا،[5] وهذا ما أشار إليه دو بارادي (de Paradis) بقوله: "أن الجزائر عرفت بعدة أسماء والتي اشتهرت بها

---

[1]- ج. أو. هابنسترايت، المصدر السابق، ص 127.

[2]- بسام العسلي، خير الدين بربروس والجهاد في البحر 1470-1547، ط1، دار النفاش، بيروت، 1980، ص 151.

[3]- أحمد بن محمد بن علي بن سحنون الراشدي، المصدر السابق، ص 261.

[4]- وفي جوان سنة 1732 تمكن الإسبان من القيام بهجمة جعلت معظم المدافع الجزائرية غير صالحة للاستعمال، وقد حكم الإسبان من جديد مدينة وهران سنة 1732 وتخلى أهل البلاد عن مدينة وهران وحصونها. أنظر: جون ب. وولف، المرجع السابق، ص 401. جمال قنان، المرجع السابق، ص 221.

[5]- ج. أو. هابنسترايت، المصدر السابق، ص 37.

اسم الجزائر البيضاء، بسبب حرص السكان على تبييضها مرة كل سنة على الأقل، بالإضافة إلى ذلك فهي تبيض في أيام الأعياد الدينية،[1] كما يؤكد هذا جون وولف أن منازلها متصاعدة على سفح الجبل وهي تشكل مدرجا، وتظهر الأسوار والمنازل ناصعة البياض وسط أشعة الشمس.[2]

وتحدث هابنسترايت عن منازل المدنية التي قال عنها بأنها منتظمة، وأن المدخل ينفتح على فناء مبلط بقطع رخام مربعة الشكل وعادة ما يكون الفناء مربع الشكل، أما الغرف فهي مستطيلة، وللمنازل أسطح مهيأة لأن تكون مكانا للاستراحة، ولا ينفذ ضوء النهار إلى المنازل من جهة الشارع حيث لا توجد إلا منافذ صغيرة يمكن رؤية الخارج منها، وا ٍنما يصل الضوء إليها من الفناء المفتح على الغرف.[3]

وهذا ما أكدته مجموعة من الكتابات التاريخية، فنجد أ. ليسور و و.ويلد في كتابه رحلة طريفة إلى إيالة الجزائر يؤكدان على أن ديار مدينة الجزائر مربعة، وأن ليس لها نوافذ تطل على الشارع والنوافذ الداخلية منخفضة لا تترك مجالا لدخول الضوء،[4] كما أكد شاو (Shaw) أن جدران الغرف مكسية بالجبس، وتعتبر السطوح من المساحات التي استغلها سكان مدينة الجزائر وجعلوها حيزا لعدة استعمالات،[5] وسقوف المنازل متقاربة إلى حد يمنع شعاع الشمس من الوصول.[6]

---

[1] -Venture de Paradis, Alger au XVIII siècle, op.cit, p 7.

[2]- جون ب. وولف، المرجع السابق، ص 150.

[3]- ج. أو. هابنسترايت، المصدر السابق، ص 37.

[4]-أ. ليسور و ويلد، رحلة طريفة في إيالة الجزائر، تحقيق وتقديم وتعليق وترجمة: محمد جيجلي، دار الأمة، الجزائر، 2010، ص40.

[5]- محمد الطيب لعقاب، المرجع السابق، ص 105.

[6]- وليام شالر، المصدر السابق، ص 73.

أما منازل الريف كثيرة جدا بفحص المدينة، وهي مريحة للسكن، وغرفها ذات هندسة تساعد على الحد من الحرارة الشديدة في الصيف، وبها بساتين البرتقال وصنوف الأشجار.[1]

وقول هابنسترايت يتشابه مع ما ذكره وليام شالر أن المنازل الريفية يقصدها الأثرياء في فصل الصيف، وبها حدائق وهي مطلية بالجير ومغطاة بأشجار مثمرة.[2]

كما تحدث الرحالة عن أزقة المدينة فهي غير مستقيمة وضيقة ووسخة ويصعب السير فيها،[3] وهذا ما يبينه نصر الدين براهمي في قوله: "من الخصائص المميزة لشوارع مدينة الجزائر أنها ضيقة حيث لا يمكن لشخصين السير فيها جنبا لجنب.[4] أما داخل الأسوار فإن الكثير من الجمال الأبيض يترك المجال للشوارع القذرة فبعضها لا يتسع حتى لاثنين من المارة للمرور بسهولة، وفي الشوارع الأكثر اتساعا كان الرجل يزاحم الجمال والخيول والحمير.[5]

أما المساجد فهي متقنة البناء منها عشر مساجد كبيرة ذات منارات، أما التي تقل عنها شأنا فعددها يفوق الخمسين، وأراضيها مغطاة بالحصائر والزرابي وأبنيتها تشدها عرصات قوية،[6] وهذا ما يؤكده جون ب.وولف بقوله: "أنه يوجد في مدينة الجزائر في القرن الثامن عشر عشرة مساجد كبرى، وحوالي خمسين مسجدا صغيرا،[7] وكانت لها منارات وصوامع ذات قواعد مربعة ومبيضة بالجير، وأرض المسجد مغطاة بزرابي مزركشة بشتى الألوان.[8]

---

[1]- ج. أو. هابنسترايت، المصدر السابق، ص 37.

[2]- وليام شالر، المصدر السابق، ص 74.

[3]- ج. أو. هابنسترايت، المصدر السابق، ص 36.

[4]- ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص 147.

[5]- جون ب. وولف، المرجع السابق، ص ص 150-151.

[6]- ج. أو. هابنسترايت، المصدر السابق، ص 37.

[7]- جون ب. وولف، المرجع السابق، ص ص 153-154.

[8]- مصطفى بن حموش، مساجد الجزائر وزواياها وأضرحتها في العهد العثماني من خلال مخطوط ديفولكس والوثائق العثمانية، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2010، ص 20.

وفيما يخص القبور التي تقع خارج المدينة، وتعتبر مزارات وخاصة منها أضرحة المرابطين والتي تتخذ أماكن للعبادة،[1] وهو ما يتناسب مع ما ذكره مصطفى بن حموش كانت القبور تغطى بزرابي متنوعة ومتعددة يجلس عليها الزوار حيث يأتون للتبرك ولتقبيل القبر

كما تطرق الرحالة إلى ذكر الحصون الأربعة التي تدافع عن الجزائر، ومنها: حصن الإمبراطور، البرج الجديد، برج باب عزون وبرج باب الوادي،[2] وهذا ما أكدته العديد من الكتب التاريخية، حيث نجد أن حصن الإمبراطور الذي يقع فوق التل المشرف على المدينة من ناحية الجنوب الشرقي،[3] والبرج الجديد الذي بني سنة 1802 بالقرب من باب الواد لحماية الشواطئ الغربية،[4] وباب الواد الواقع شمال الزاوية السفلى وسميت بذلك نسبة للوادي الذي يجري في ضواحيها، وباب عزون بناه الداي مصطفى في رأس تافورة سنة 1805 ويسمى بالحصن الجديد أيضا.[5]

ومما سبق ذكره نستنتج أن مدينة الجزائر شهدت حركة عمرانية كبيرة إضافة إلى بناء الحصون والقصور والمساجد والحمامات، وكان لمهاجري الأندلس الدور الكبير في الازدهار العمراني بخبرتهم الفائقة في العمارة.

كما تأثر الجزائريون في بناء مساجدهم بالنمط العثماني، حيث اشتهرت المساجد بالجمال والثراء وحسن الذوق، كما كانت البيئة وراء طريقة العمارة في الجزائر فالحرارة والبرودة من جهة وعدم ظهور المرأة هي التي أملت كثير من أساليب بناء المنازل، كما كان الغزو البحري وتعرض السواحل الجزائرية للهجمات المتكررة قد أملى طريقة بناء القلاع والحصون للمراقبة والدفاع.

---

[1]- مصطفى بن حموش، المصدر السابق، ص ص 20-21.

[2]- ج. أو. هابنسترايت، المصدر السابق، ص 36.

[3]- عزيز سامح ألتر، المرجع السابق، ص 127.

[4]- علي عبد القادر حليمي، المرجع السابق، ص 245.

[5]- لطيفة بوراية، المرجع السابق، ص 165.

خاتمة

إن النتائج العامة التي يمكن أن نستخلصها من الدراسة هي:

-تعددت تعاريف الرحلة في اللغة والاصطلاح، فالرحلة هي صفة ملازمة للإنسان منذ القدم، وتعددت معانيها كالانتقال، السفر والحركة، وتكون إما فردية أو جماعية لأهداف معينة.

- اختلفت أنواع الرحلات باختلاف التصنيفات التي وضعت، وذلك بعدما أن زاد الإقبال عليها، ونذكر أهمها: العلمية، الحجازية، الاستطلاعية، السفارية، التجارية، السياحية ...الخ.

- تعتبر الكتابات الغربية من الأساسيات التي يجب على الباحث في تاريخ الجزائر العثماني الرجوع إليها.

- كانت إيالة الجزائر مقصد الكثير من الرحالة الأجانب طيلة ثلاثة قرون، إما بدافع الرحلات العلمية أو لغيرها، فدونوا ملاحظاتهم عن تاريخ هذه البلاد وشعبها، منها ما كانت موضوعية ومنها ما كانت أقرب لذلك، فمن خلال اختيارنا لنماذج لبعض الرحالة الذين زاروا الجزائر تبين لنا أهمية هذه المدينة وصورتها في المصادر الأوروبية، ونذكر أسماء بعض الرحالة الذين تطرقنا لذكر هم: المؤرخ الإسباني، مارمول كربجال، والفرنسي الأب بيار دان، ومسؤول القنصلية الفرنسية بالجزائر خلال القرن 18 لوجي دوتاسي، والرحالة الإنجليزي توماس شاو.

- للحديث عن الرحلة التي قام بها الرحالة الألماني للجزائر، نجد أنها كانت عبارة عن ثلاث رسائل، موجهة إلى ملك سكسونيا، الرسالة الأولى تحدث فيها عن وصوله إلى مدينة الجزائر ومقابلته الداي عبدي باشا، ودون ملاحظاته التاريخية، السياسية، الاجتماعية والاقتصادية، والرسالة الثانية وصف فيها ما شاهده أثناء مصاحبته لجنود المحلة التي تقوم بمهمة جمع الضرائب، والرسالة الثالثة كتب فيها عن زياراته لبعض المدن الجزائرية واكتشافه لآثارها، ومغادرته إلى تونس مع البعثة لإكمال أبحاثه العلمية.

- من خلال المعلومات التي قدمها هابنسترايت يتبين لنا أنه استعان بمصادر عديدة منها الكتب السابقة لبعض الرحالة والأسرى الذين زاروا شمال إفريقيا، من أمثال دوتاسي وهايدو،

إضافة إلى أفراد البعثة المرافقة له، والأشخاص الذين التقى بهم في الجزائر أمثال: القنصل الإنجليزي بلاك والداي عبدي باشا، واعتماده أيضا على ملاحظته المباشرة من خلال الخروج مع جنود المحلة، وزيارة الآثار، ومن كل هذا يتضح لنا مدى قيمة المعلومات التي قدمها صاحب الرحلة.

- تجدر الملاحظة إلى أن هذه الرحلة احتوت على عدة فوائد، فنجد أن لها أهمية تاريخية جغرافية، اجتماعية واقتصادية، سياسية إدارية، عسكرية ومعمارية.

-ألقت هذه الر حلة الضوء على أهم المحطات التاريخية للجزائر وبينت لنا أهمية موقعها الجغرافي وحتى الفلكي.

- قسمت لنا هذه الرحلة المجتمع الجزائري خلال العهد العثماني إلى فئات وقبائل، معتمدة في ذلك على أسس عر قية، دينية، مادية ومهنية، وهي تعكس بصدق الواقع الاجتماعي لتلك الفترة.

- وضح هابنسترايت أن الحكم في إيالة الجزائر طوال ثلاثة قرون كان محصورا في أيدي الأتراك العثمانيين، وأن عادات وتقاليد هذا البلد تحكمه الضوابط الدينية الإسلامية المبنية على العدل والمساواة، وحتى أن في نظره أن الأسرى المسيحيين تمتعوا بحقوق داخل هذا البلد على عكس ما كتبه بعض الأوروبيين على قسوة المعاملة التي يتلقوها بالجزائر.

- ركز العالم الألماني خلال تعرضه للبنية الاقتصادية على موارد الخزينة للجزائر خلال الفترة العثمانية، وأن اقتصادها مرتبط بمدى ثراء خزينتها، ونشير إلى أن الجزائر بلد غني وثري بالثروة الحيو انية والنباتية.

- يعود سبب تواجد العثمانيين بالجزائر إلى الإخوة بربروس والتحرشات الإسبانية على سواحل شمال إفريقيا.

- من خلال ما قدمه الرحالة الألماني هابنسترايت، تبين لنا أنه من بين مميزات السلطة العثمانية بالجزائر تنظيمها العسكري الصارم.

خاتمة

- اهتم الجزائريون بالفن المعماري، وهو ما جعل العديد من المؤرخين والرحالة يهتمون بذكر العمارة الجز ائرية في كتاباتهم، وبسحر جمالها, ويميزها عن العمارة الأوربية.

وفي الأخير نقول أن ما كتبه هابنسترايت عن الجزائر كان بنزاهة وموضوعية، قدم معلومات جد دقيقة عنها، وتعد مصدر هام لتاريخ الجزائر سنة 1732م, ويمكن الاطلاع على رحلات أخرى عديدة لم نوظفها في هذه الدراسة, وهذا ما يبقي مجال البحث مفتوحا للأجيال القادمة.

قائمة المصادر والمراجع

1 -المصادر:

القرآن الكريم.

1 - 1 -المصادر باللغة العربية:

أ -العربية:

- الإدريسي أبو عبد الله محمد بن عبد الله الشريف ، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس، تحقيق: إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983.

- ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار الجيل، بيروت، د ت.

- الراشدي بن سحنون أحمد بن محمد بن علي ، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، ط1، تحقيق وتقديم: المهدي بوعبدلي، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013.

- الزهار أحمد الشريف ، مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار نقيب أشراف الجزائر 1168-1246هـ ل 1754-1830م، تحقيق: أحمد توفيق المدني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974.

- العنتري محمد صالح، مجاعات قسنطينة، تعليق وتحقيق: رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1974.

- الفاسي ابن زاكور، نشر أزاهر البستان في من أجازني بالجزائر وتطوان من فضلاء أكابر الأعيان، المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، الجزائر، د ت.

- القزويني زكرياء بن محمد بن محمود ، آثار البلاد وأخبار العباد، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، 1979.

- المسعودي أبو الحسن علي ، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج1، تحقيق: سعيد محمد اللخام، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2000.

- المكناسي محمد بن عبد الوهاب ، رحلة المكناسي، إحراز المعلى والرقيب في حج بيت الله الحرام وزيارة القدس الشر يف والخليل والتبرك بقبر الحبيب، ط1، تحقيق وتقديم: محمد لوكبوط، دار السويدي للنشر والتوزيع، بيروت، 2003.

ب- المعربة:

- ابن حموش مصطفى أحمد، مساجد الجزائر وزواياها وأضرحتها في العهد العثماني من خلال مخطوط ديفولكس والوثائق العثمانية، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2010.

- خوجة حمدان بن عثمان ، المرآة، ط2، تقديم وتعريب وتحقيق: محمد العربي الزبيري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982.

- شالر وليام ، مذكرات وليام شالر قنصل أمريكا في الجزائر (1816-1824)، تعريب وتعليق وتقديم: إسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982.

- فون مالتسان هاينريش ، ثلاث سنوات في شمال غربي إفريقيا، ج1، ترجمة: أبو العيد دودو، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979.

- كربجال مارمول ، إفريقيا، ج1، ترجمة: محمد حجي وآخرون، مكتبة المعارف للنشر والتوز يع، المغرب، 1984.

- ليسور. أ و. ويلد، رحلة طريفة في إيالة الجزائر، تحقيق وتقديم وتعليق وترجمة: محمد جيجلي، دار الأمة، الجزائر، 2010

- هابنسترايت. أو. ج، رحلة العالم الألماني هابنسترايت إلى الجزائر وتونس وطرابلس 1145هـ/1732م ، ترجمة وتقديم وتعليق: ناصر الدين سعيدوني، دار الغرب الإسلامي، تونس، د ت.

- الوزان الفاسي الحسن بن محمد، وصف إفريقيا، ج1، ط2، ترجمة: محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983

1-2-المصادر الأجنبية:

- Fray diego de Haédo, Topographie et Histoire générale d'Alger, Traduit de l'éspagnol par : Monnereau, A. Berbrugger, valladolid, 1612.

- Fray diego de Haédo, Histoire des rois d'Alger, Tradiute de L'épagnol par: Grammont. H D, Edition grand- Alger livres, 2004.

- Laugier de Tassy , Histoire de royaume d'Alger, Amesterdam Henri de Sauzet, M.DCC.XXV.

- Pierre Dan , Histoire de la barbarie et des ses corsaires des royaumes, et des villes d'Alger, de Tunis, de Salé et de Tripoli, Libraire ordinaire du roi, a Paris, 2ème édition, 1646.

- Thomas Shaw , Voyage dans la régence d'Alger, au description géographie, physique, philologique, traduit par J. Maccarthy, chez Marlin, éditeur, Paris, 1830.

- Venture de paradis, Alger Au XVIII Siécle, édité par : E Fagnan, Alger, Typographie Adolphe jourdan 4, Place de gouvernement, 4, 1898.

- Johann Ferdinand Neigebaur, Geschichte der kaiserlichen Leopold carolinishen deutschen Akademie der Naturrforscher während der zweiten Jahrbunderts ihres Bestehens, Jena, 1860.

2- المراجع والكتب:

2-1- المراجع باللغة العربية:

أ-العربية:

- أحميدة عميراوي ، الجزائر في أدبيات الرحلة والأسر خلال العهد العثماني (مذكرات تيدنا أنموذجا)، دار الهدى، الجزائر، 2009.

- إسكندر محمد المختار ، المدية بين القديم والحديث، طبع بالمؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1986.

- أنساعد سميرة ، الرحلة إلى المشرق في الأدب الجزائري دراسة في النشأة والتطور والبنية، دار الهدى، الجزائر، 2009

- بالحميسي مولاي ، الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981.

-براهمي نصر الدين ، تاريخ مدينة الجزائر في العهد العثماني، منشورات ثالة، الجزائر، 2010.

- بوحوش عمار، التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997.

- بوعزيز يحيى، مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2008.

- الجوهري يسرى، شمال إفريقية، ط6، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الإسكندرية، 1980.

- الجيلالي عبد الرحمان ، تاريخ المدن الثلاث الجزائر – المدية – مليانة، ط2، وزارة الثقافة لمديرية الفنون والآداب، الجزائر، 2005.

- حسين حسني محمود، أدب الرحلة عند العرب، ط2، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1983.

- حليمي علي عبد القادر، مدينة الجزائر نشأتها وتطورها قبل 1830، ط1، المطبعة العربية لدار الفكر الإسلامي، 1972.

- ابن حموش مصطفى أحمد، فقه العمران الإسلامي من خلال الأرشيف العثماني الجزائري (956هـ-1549م/1246هـ-1830م)دار البحوث للدراسات الإسلامية وا إحياء التراث، دبي، 2001.

قائمة المصادر والمراجع

- خلاصي علي، قصبة مدينة الجزائر، ج1، ط1، دار الحضارة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2007.

- دودو أبو العيد، الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمان 1830-1855، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989.

- سعد الله أبو القاسم: أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج3، ط4، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2005.

- سعد الله أبو القاسم ، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998.

- سعدي عثمان، الجزائر في التاريخ، شركة دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2013.

- سعيدوني ناصر الدين، النظام المالي للجزائر في الفترة العثمانية 1800-1830، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979.

- سعيدوني ناصر الدين والمهدي بوعبدلي، الجزائر في التاريخ العهد العثماني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.

- سعيدوني ناصر الدين ,ورقات جزائرية دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، ط2، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009.

- السليماني أحمد، النظام السياسي الجزائري في العهد العثماني، الجزائر، 1994.

- الشاروني جيب ، فلسفة فرانسيس بيكون، ط1، دار الثقافة، المغرب، 1981.

- الشامي صلاح الدين علي ، الرحلة عين جغرافية المبصرة في الكشف الجغرافي والدراسة الميدانية، ط2، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1999.

- ضيف شوقي، الرحلات، ط4، دار المعارف، القاهرة، د ت.

قائمة المصادر والمراجع

- طوبال نجوى، طائفة اليهود بمجتمع مدينة الجزائر 1700-1830 من خلال سجلات المحاكم الشرعية، دار الشروق للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2008.

- عباد صالح، الجزائر خلال الحكم التركي (1514-1830)، ط3، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2011.

- العسلي بسام، خير الدين بربروس والجهاد في البحر 1470-1547، ط1، دار النفائس، بيروت، 1980.

- عقاب محمد الطيب، قصور مدينة الجزائر في أواخر العهد العثماني، دار الحكمة للنشر، الجزائر، 2009.

- فارس محمد خير، تاريخ الجزائر الحديث من الفتح العثماني إلى الاحتلال الفرنسي، ط2، مكتبة دار الشرق، بيروت، 1979.

- فركوس صالح بن النبيلي، تاريخ الثقافة الجزائرية من العهد الفينيقي إلى غاية الاستقلال (814 ق. م-1962م)، ج1، إيدكوم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013.

- فهيم حسين محمد، أدب الرحلات، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1989.

- قنان جمال، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر الحديث 1500-1830، دار هومة، الجزائر، 1987.

- المدني أحمد توفيق، هذه هي الجزائر، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1956.

- المدني أحمد توفيق، جغرافية القطر الجزائري للناشئة الإسلامية، مطبعة العربية، الجزائر، 1948.

- الميلي مبارك بن محمد الهلالي ، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج3، مكتبة النهضة الجزائرية، 1964.

- النساج سيد حامد ، مشوار كتب الرحلة (قديما وحديثا)، مكتبة غريب، القاهرة، د ت.

- نصار حسين ، أدب الرحلة، ط1، دار نوبار للطباعة، القاهرة، 1999.

- نواب عواطف محمد يوسف ، الرحلات المغربية والأندلسية مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في القرنين السابع والثامن الهجريين-دراسة تحليلية مقارنة-، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 1996.

- يوغلا أحمد ، الرحلة الأندلسية الأنواع والخصائص، ط1، دار أبي رقاق للطباعة والنشر، المغرب، 2008.

ب- المعربة:

- ألتر عزيز سامح ، الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية، ترجمة: محمود علي عامر، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، ط1، بيروت، 1989.

- شوفالييه كوين، الثلاثون سنة الأولى لقيام دولة مدينة الجزائر 1510-1541، ترجمة: جمال حمادنة، ديوان المطبوعات الجامعية، 2007.

- كراتشوكوفسكي أغناطيوس يوليانوفتش ، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ترجمة: صلاح الدين عثمان هاشم، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1987.

- وولف جون ب، الجزائر وأوربا 1500-1830، ترجمة وتعليق: أبو القاسم سعد الله، عالم المعرفة، الجزائر، 2009.

2-2- المراجع الأجنبية:

-H. D. De Grammont, Histoire d'Alger sous la domination Turque (1518-1830), ernest le roux, éditeur 28 rue Bonaparte, Paris, 1887

- Nacereddine Saidouni, l'Algérois Rural A la fin de l'époque ottmone (1791-1830),2 Edition, Alam el Maarifa, Alger, 2010.

3- الدوريات:

3-1- العربية:

- بورابة لطيفة، "مباني قلعة الجزائر العثمانية – دراسة تاريخية أثرية"، مجلة علوم الإنسان والمجتمع، العدد 11، 2014

- العربي إسماعيل ، "بجاية من خلال النصوص الغربية"، مجلة الأصالة، العدد 19، الجزائر، 1974.

- الفندري منير، "هابنسترايت وبعثة أمير سكسونيا العلمية بشمال إفريقيا (1732-1733)"، المجلة التاريخية المغاربية، العدد 35-36، تونس، 1984.

- لزغم فوزية ، "الأطباء الأوروبيون بالجزائر خلال العهد العثماني"، مجلة عصور، جامعة وهران، عدد21، جويلية – ديسمبر 2013.

- المشهداني مؤيد محمود حمد وسلوان رشيد رمضان، أوضاع الجزائر خلال الحكم العثماني 1518-1830، مجلة الدراسات التاريخية والحضارية ، العدد 16، جامعة تقرت، 2013

3-2- الأجنبية:

-Albert Devoulx, les casernes des janissaires à Alger, In. R A ,Année 1858-1859.

-Venture de Paradis, Alger au 18 Siécle, présentation de Fagnan, In. R A, Année 1895.

4-الرسائل الجامعية:

- بلقاسم قرباش، الأسرى الأوربيون في الجزائر خلال عهد الدايات (1671-1830)، مذكرة لنيل درجة الدكتوراه، تخصص التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة مصطفى اسطنبولي، معسكر، 2015-2016.

- بوحجرة عثمان، الطب والمجتمع في الجزائر خلال العهد العثماني (1519-1830م) مقاربة اجتماعية، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية،جامعة وهران، 2014-2015.

- شويتام أرزقي، المجتمع الجزائري وفعالياته في العهد العثماني 1519-1830، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه، في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، 2005-2006.

- صغيري سفيان ، العلاقات الجزائرية العثمانية خلال عهد الدايات في الجزائر (1671-1830)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، تخصص التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم الإسلامية، جامعة الحاج لخضر، 2011-2012.

- عائشة محمة، الأسرى الأوروبيون في مدينة الجزائر ودورهم في العلاقات بين الجزائر ودول الحوض الغربي للمتوسط خلال القرنين السادس والسابع عشر للميلاد، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، تخصص التاريخ الحديث، معهد العلوم الإنسانية والاجتماعية، المركز الجامعي بغرداية، 2011-2012.

- العابد زكرياء، الجزائر في العهد العثماني من خلال رحلات أوروبية، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الأمير عبد القادر، 2007.

- كشرود حسان، رواتب الجند وعامة الموظفين وأوضاعهم الاجتماعية والاقتصادية بالجزائر العثمانية من 1659 إلى 1830، مذكرة لنيل شهادة الماجستير تخصص التاريخ الاجتماعي لدول المغرب العربي، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة منتوري، قسنطينة، 2007-2008.

- معاشي جميلة ، الانكشارية والمجتمع بباب قسنطينة في نهاية العهد العثماني، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في التاريخ الحديث، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة منتوري، قسنطينة، 2007-2008.

5- **القواميس والمعاجم والأطالس:**

- أبادي الفيروز، القاموس المحيط، ج3، دار الجيل، د ت.

- البستاني بطرس، محيط المحيط، مكتبة لبنان، بيروت، 1977.

- البستاني بطرس، دار المعارف، مج8، مؤسسة مطبوعاتي، إسماعيليان، طهران، د ت.

- الحموي ياقوت، معجم البلدان، مج1، دار صادر، بيروت، 1977.

- الزركلي خير الدين، الأعلام قاموس تراجم أشهر الرجال والنساء من العرب المستعربين والمستشرقين، ج3، دار العلم للملايين، بيروت، 1990.

- صابان سهيل، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، مراجعة: عبد الرزاق محمد، حسن بركات، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 2000.

- ابن فارس، مقاييس اللغة، ج2، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، د ت.

- ابن منظور، لسان العرب، مج3، تحقيق: عبد الله علي الكبير وآخرون، دار المعارف، القاهرة، د ت.

- الهمداني أبو الفضل بديع الزمان ، مقامات، تعليق: محمد محي الدين، المكتبة الأزهرية، القاهرة، 1923.

- أطلس العالم الكبير، مغامرات مشوقة في الجغرافيا، مكتبة الصغار، 1999.

6- **المواقع الإلكترونية:**

- http://en.m.wikipedia.org/wiki/christian.gottlieb.ludwig.

- http://de.wikipedia.org/wiki/johann-Ernst-henbenstreit.

فهرس الموضوعات

شكر وتقدير

قائمة المختصرات

مقدمة أ

الفصل الأول: الرحلة: المفهوم والأنواع

المبحث الأول: تعريف الرحلة. 8

المبحث الثاني: أنواع الرحلات. 12

المبحث الثالث: نماذج من الرحلات إلى الجزائر في العهد العثماني 16

الفصل الثاني: نبذة عن الرحالة هابنسترايت وعن رحلته

المبحث الأول: أضواء عن حياة الرحالة. 23

المبحث الثاني: التعريف بالرحلة. 26

المبحث الثالث: المصادر التي اعتمد عليها الرحالة جوهان أرنست هابنسترايت 32

الفصل الثالث: أهمية رحلة هابنسترايت في إبراز معالم الجزائر العثمانية

المبحث الأول: الأهمية في الجانب التاريخي والجغرافي. 40

المبحث الثاني: الأهمية في الجانب الاجتماعي والاقتصادي. 44

المبحث الثالث: الأهمية في الجانب السياسي والعسكري. 54

المبحث الرابع: الأهمية في الجانب المعماري 60

خاتمة 65

المصادر والمراجع 69

فهرس الموضوعات 80